

مجالس شهر رمضان

تأليف فضيلة الشيخ
محمد بن صالح العثيمين

2

الفهرس

- أ الفهرس
- ١ مقدمة
- ٢ المجلس الأول في فضل شهر رمضان
- ٧ المجلس الثاني في فضل الصيام
- ١١ المجلس الثالث في حكم صيام رمضان
- ١٦ المجلس الرابع في حكم قيام رمضان
- ٢٢ المجلس الخامس في فضل تلاوة القرآن وأنواعها
- ٢٨ المجلس السادس في أقسام الناس في الصيام
- ٣٣ المجلس السابع في طائفة من أقسام الناس في الصيام
- ٣٨ المجلس الثامن في بقية أقسام الناس في الصيام وأحكام القضاء
- ٤٣ المجلس التاسع في حكم الصيام
- ٤٨ المجلس العاشر في آداب الصيام الواجبة
- ٥٤ المجلس الحادي عشر في آداب الصيام المستحبة
- ٦٠ المجلس الثاني عشر في النوع الثاني من تلاوة القرآن
- ٦٥ المجلس الثالث عشر في آداب قراءة القرآن
- ٧١ المجلس الرابع عشر في مفطرات الصوم

- المجلس الخامس عشر في شروط الفطر بالمفطرات وما لا يفطر وما يجوز للصائم ٧٦
- المجلس السادس عشر ٨١
- في الزكاة ٨١
- المجلس السابع عشر في أهل الزكاة ٨٦
- المجلس الثامن عشر في غزوة بدر ٩٢
- المجلس التاسع عشر في غزوة فتح مكة شرفها الله ﷺ ٩٧
- المجلس العشرون في أسباب النصر الحقيقية ١٠٢
- المجلس الحادي والعشرون في فضل العشر الأخير من رمضان ١٠٧
- المجلس الثاني والعشرون في الاجتهاد في العشر الأواخر وليلة القدر ١١٢
- المجلس الثالث والعشرون في وصف الجنة جعلنا الله من أهلها ١١٧
- المجلس الرابع والعشرون في أوصاف أهل الجنة جعلنا الله منهم بمنه وكرمه ١٢٣
- المجلس الخامس والعشرون في وصف النار أعادنا الله منها ١٣٠
- المجلس السادس والعشرون في أسباب دخول النار ١٣٦
- المجلس السابع والعشرون في النوع الثاني من أسباب دخول النار ١٤١
- المجلس الثامن والعشرون في زكاة الفطر ١٤٧
- المجلس التاسع والعشرون في التوبة ١٥٣
- المجلس الثلاثون في ختام الشهر ١٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد: فهذه مجالس لشهر رمضان المبارك تستوعب كثيراً من أحكام الصيام والقيام والزكاة، وما يناسب المقام في هذا الشهر الفاضل، رتبناها على مجالس يومية أو ليلية، انتخبت كثيراً من خطبها من كتاب "قرة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التبصرة" مع تعديل ما يحتاج إلى تعديله، وأكثرتها فيها من ذكر الأحكام والآداب لحاجة الناس إلى ذلك. سميتها (مجالس شهر رمضان)، وقد سبق أن طبع عدة مرات، ثم بدا لي أن أعلق عليه بصفة مختصرة تخريج أحاديثه، وإضافة ما رأيته محتاجاً إلى إضافة، وحذف ما رأيته مستغنى عنه، وهو يسير لا يخل بمقصود الكتاب. أسأل الله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لله، وأن ينفع به، إنه جواد كريم.

المجلس الأول

في فضل شهر رمضان

الحمد لله الذي أنشأ وبرا، وخلق الماء والثرى، وأبدع كل شيء وذرا، لا يغيب عن بصره صغير النمل في الليل إذا سرى، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ⑥ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿۷﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿۸﴾ [طه: ٦-٨]، خلق آدم فابتلاه ثم اجتنابه فتاب عليه وهدى، وبعث نوحا فصنع الفلک بأمر الله وجرى، ونجى الخليل من النار فصار حرها بردا وسلاما عليه، فاعتبروا بما جرى، وأتى موسى تسع آيات فما أدكر فرعون وما ارعوى، وأيد عيسى بآيات تبهر الورى، وأنزل الكتاب على محمد فيه البينات والهدى، أحمدته على نعمه التي لا تزال تنزل، وأصلي وأسلم على نبيه محمد المبعوث في أم القرى، صلى الله عليه وعلى صاحبه في الغار أبي بكر بلا مرا، وعلى عمر الملهم في رأيه فهو بنور الله يرى، وعلى عثمان زوج ابنته ما كان حديثا يُفتَرى، وعلى ابن عمه علي بحر العلوم وأسد الثرى، وعلى بقية آله وأصحابه الذين انتشر فضلهم في الورى، وسلم تسليما.

إخواني: لقد أظننا شهر " كريم " وموسم " عظيم "، يعظم الله فيه الأجر ويجزل المواهب، ويفتح أبواب الخير فيه لكل راغب، شهر الخيرات والبركات، شهر المنح والهبات، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، شهر " محفوف " بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، اشتهرت بفضلها الأخبار، وتواترت فيه الآثار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانَ فَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ»^(١) ^(١) وإنما تفتح أبواب

(١) البخاري بدء الخلق (٣١٠٣)، مسلم الصيام (١٠٧٩)، الترمذي الصوم (٦٨٢)، النسائي الصيام (٢١٠٦)، ابن ماجه الصيام (١٦٤٢)، مالك الصيام (٦٩١)، الدارمي الصوم (١٧٧٥).

الجنة في هذا الشهر لكثرة الأعمال الصالحة وترغيبا للعاملين، وتغلق أبواب النار لقلّة المعاصي من أهل الإيمان، وتصعد الشياطين فتعلُّ فلا يخلصون إلى ما يخلصون إليه في غيره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أُعْطِيَتْ أمتي خمس خصال في رمضان لم تُعْطَهُنَّ أمة من الأمم قبلها: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفتروا، ويزين الله كل يوم جنته ويقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك، وتصعد فيه مَرَدَّةُ الشياطين فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة"، قيل: يا رسول الله أهى ليلة القدر؟ قال: " لا ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله» (٢) (٣).

إخواني: هذه الخصال الخمس ادخرها الله لكم وخصكم بها من بين سائر الأمم، ومنّ بها عليكم لتمام بها عليكم النعم، وكم لله من نعم وفضائل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

* الخصلة الأولى: «أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (٤) (٥) والخلوف بضم الخاء أو فتحها تغير رائحة الفم عند خلو المعدة من الطعام، وهي رائحة مستكرهة عند الناس لكنها عند الله أطيب من رائحة المسك؛ لأنها ناشئة عن عبادة الله وطاعته، وكل ما نشأ عن عبادته وطاعته فهو محبوب عنده سبحانه يعوّض عنه صاحبه ما هو خير وأفضل وأطيب، ألا ترون إلى الشهيد الذي قُتِلَ في سبيل الله يريد أن تكون كلمة الله هي العليا يأتي يوم القيامة وجرحه يثعب دما لونه لون الدم ويرجه ريح المسك؟ وفي الحج يباهي الله الملائكة بأهل الموقف

(١) متفق عليه.

(٢) أحمد (٢/٢٩٢).

(٣) رواه أحمد والبخاري والبيهقي وأبو الشيخ في كتاب الثواب، وإسناده ضعيف جدا لكن لبعضه شواهد.

(٤) البخاري الصوم (١٧٩٥)، مسلم الصوم (١١٥١)، الترمذي الصوم (٧٦٤)، ابن ماجه الصوم (١٦٣٨)،

أحمد (٢/٢٧٣).

(٥) رواه البخاري ومسلم بدون تخصيص بهذه الأمة.

فيقول سبحانه: «انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شُعبًا غُبرًا»^(١) ^(٢) وإنما كان الشَّعَثَ محبوبًا إلى الله في هذا الموطن لأنه ناشئ عن طاعة الله باجتناح محظورات الإحرام وترك الترفه.

* **الخصلة الثانية:** «أن الملائكة تستغفر لهم حتى يفتروا»^(٣)، والملائكة عباد مكرمون عند الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فهم جديرون بأن يستجيب الله دعاءهم للصائمين حيث أذن لهم به، وإنما أذن الله لهم بالاستغفار للصائمين من هذه الأمة تنويهاً بشأهم، ورفعة لذكورهم، وبياناً لفضيلة صومهم، والاستغفار طلب المغفرة، وهي ستر الذنوب في الدنيا والآخرة والتجاوز عنها، وهي من أعلى المطالب وأسمى الغايات، فكل بني آدم خطاءون مسرفون على أنفسهم مضطرون إلى مغفرة الله عز وجل.

الخصلة الثالثة: «أن الله يزين كل يوم جنته ويقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك»^(٤) فيزين الله تعالى جنته كل يوم تهيئة لعباده الصالحين وترغيباً في الوصول إليها، ويقول سبحانه: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى، يعني مؤونة الدنيا وتعبها وأذاها، ويُسَمِّرُوا إلى الأعمال الصالحة التي فيها سعادتهم في الدنيا والآخرة، والوصول إلى دار السلام والكرامة.

* **الخصلة الرابعة:** «أن مردة الشياطين يُصَفَّدون بالسلاسل والأغلال»^(٥)، فلا يصلون إلى ما يريدون من عباد الله الصالحين من الإضلال عن الحق والتشبيط عن الخير، وهذا من معونة الله لهم أن حبس عنهم عدوهم الذي يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، ولذلك تجدد عند الصالحين من الرغبة في الخير والعزوف عن الشر في هذا الشهر أكثر من غيره.

(١) أحمد (٢/٢٢٤).

(٢) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه وهو صحيح بشواهده.

(٣) أحمد (٢/٢٩٢).

(٤) أحمد (٢/٢٩٢).

(٥) رواه البخاري ومسلم بلفظ: صفدت الشياطين، وابن خزيمة بلفظ: الشياطين مردة الجن، وفي رواية للنسائي:

مردة الشياطين. وكلهم من حديث أبي هريرة بدون تخصيص بهذه الأمة.

* الخصلة الخامسة: «أن الله يغفر لأمة محمد ﷺ في آخر ليلة من هذا الشهر»^(١) إذا قاموا بما ينبغي أن يقوموا به في هذا الشهر المبارك من الصيام والقيام تفضلا منه سبحانه بتوفية أجورهم عند انتهاء أعمالهم، فإن العامل يوفى أجره عند انتهاء عمله).

وقد تفضل سبحانه على عباده بهذا الأجر من وجوه ثلاثة:

* الوجه الأول: أنه شرع لهم من الأعمال الصالحة ما يكون سببا لمغفرة ذنوبهم ورفعته درجاتهم، ولولا أنه شرع ذلك ما كان لهم أن يتعبدوا لله بها؛ إذ العبادة لا تؤخذ إلا من وحي الله على رسله، ولذلك أنكر الله على من يُشْرَعُونَ من دونه، وجعل ذلك نوعا من الشرك فقال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].

* الوجه الثاني: أنه وفَّقهم للعمل الصالح وقد تركه كثير من الناس، ولولا معونة الله لهم وتوفيقه ما قاموا به، فله الفضل والمنة بذلك.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

* الوجه الثالث: أنه تفضل بالأجر الكثير، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، فالفضل من الله بالعمل والثواب عليه، والحمد لله رب العالمين.
إخواني: بلوغ رمضان نعمة كبيرة على من بلغه وقام بحقه بالرجوع إلى ربه من معصيته إلى طاعته، ومن الغفلة عنه إلى ذكره، ومن البعد عنه إلى الإجابة إليه.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجبٍ	حتى عصى ربه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدها	فلا تُصَبِّرُهُ أيضا شهر عصيان
واتل القرآن وسبح فيه مجتهدا	فإنه شهر تسبيح وقرآن
كم كنت تعرف ممن صام في سلفٍ	من بين أهل وجيران وإخوان

(١) روى نحوه البيهقي من حديث جابر، قال المنذري: وإسناده مقارب أصلح مما قبله يعني حديث أبي هريرة الذي في الأصل.

أفناهم الموت واستبqاك بعدهم حياً فما أقرب القاصي من الداني
اللهم أيقظنا من رقذات الغفلة، ووقفنا للتزود من التقوى قبل النُقلة، وارزقنا اغتنام الأوقات
في ذي المهلة، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الثاني في فضل الصيام

الحمد لله اللطيف الرؤوف المنان، الغني القوي السلطان، الحليم الكريم، الرحيم الرحمن، الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده، والظاهر فلا شيء فوقه، الباطن فلا شيء دونه، المحيط علما بما يكون وما كان، يُعزّز ويُذل، ويُفقر ويُغني، ويفعل ما يشاء بحكمته، كل يوم هو في شأن، أرسى الأرض بالجبال في نواحيها، وأرسل السحاب الثقال بماء يحييها، وقضى بالفناء على جميع ساكنيها، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي المحسنين بالإحسان.

أحمده على الصفات الكاملة الحسان، وأشكره على نعمة السابغة والشكر يزيد العطاء والامتنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الديان، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث إلى الإنس والجان، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما تواتت الأزمان، وسلم تسليما.

إخواني: اعلّموا أن الصوم من أفضل العبادات وأجلّ الطاعات، جاءت بفضلها الآثار، ونقلت فيه بين الناس الأخبار.

* فمن فضائل الصوم: أن الله كتبه على جميع الأمم وفرضه عليهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ولولا أنه عبادة عظيمة لا غنى للخلق عن التبعّد بها لله وعمّا يترتب عليها من ثواب ما فرضه الله على جميع الأمم.

* ومن فضائل الصوم في رمضان: أنه سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»^(١) ^(٢) يعني إيمانا

(١) البخاري الإيمان (٣٨)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٠)، الترمذي الصوم (٦٨٣)، أحمد (٢٤١/٢).

(٢) متفق عليه.

بالله ورضا بفرضية الصوم عليه واحتسابا لثوابه وأجره، ولم يكن كارها لفرضه ولا شاكاً في ثوابه وأجره، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه.

* وعن أبي هريرة أيضاً أن النبي ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة مكفّرات لما بينهن إذا اجْتُنِبَت الكبائر»^(١) (٢).

ومن فضائل الصوم: أن ثوابه لا يتقيد بعدد معين بل يُعطى الصائم أجره بغير حساب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»^(٣) (٤) وفي رواية لمسلم: «كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي»^(٥).

وهذا الحديث الجليل يدل على فضيلة الصوم من وجوه عديدة:

- الأول: أن الله اختص لنفسه الصوم من بين سائر الأعمال؛ وذلك لشرفه عنده ومحبته له وظهور الإخلاص له سبحانه فيه؛ لأنه سر بين العبد وبين ربه، لا يطّلع عليه إلا الله، فإن الصائم يكون في الموضع الخالي من الناس متمكناً من تناول ما حرم الله عليه بالصيام فلا يتناوله؛ لأنه يعلم أن له ربا يطّلع عليه في خلوته، وقد حرم عليه ذلك فيتركه لله خوفاً من عقابه ورغبة في ثوابه، فمن أجل ذلك شكر الله له هذا الإخلاص، واختص صيامه لنفسه من بين سائر أعماله؛

(١) مسلم الطهارة (٢٣٣)، الترمذي الصلاة (٢١٤)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٨٦)، أحمد (٤٠٠/٢).

(٢) رواه مسلم.

(٣) البخاري الصوم (١٨٠٥)، مسلم الصيام (١١٥١)، الترمذي الصوم (٧٦٤)، النسائي الصيام (٢٢١٦)، ابن ماجه الصيام (١٦٣٨)، أحمد (٢٧٣/٢).

(٤) متفق عليه.

(٥) الترمذي الصوم (٧٦٤)، ابن ماجه الصيام (١٦٣٨).

ولهذا قال: «يدع شهوته وطعامه من أجلي»^(١)، وتظهر فائدة هذا الاختصاص يوم القيامة كما قال سفيان بن عُيينة رحمته: إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده، ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى إذا لم يبق إلا الصوم يتحمل الله عنه ما بقي من المظالم، ويدخله الجنة بالصوم.

- الثاني: أن الله قال في الصوم: «وأنا أجزي به»^(٢)، فأضاف الجزاء إلى نفسه الكريمة؛ لأن الأعمال الصالحة يضاعف أجرها بالعدد، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، أما الصوم فإن الله أضاف الجزاء عليه إلى نفسه من غير اعتبار عدد، وهو سبحانه أكرم الأكرمين وأجود الأجودين.

والعطية بقدر معطيها فيكون أجر الصائم عظيما كثيرا بلا حساب، والصيام صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة من الجوع والعطش وضعف البدن والنفس، فقد اجتمعت فيه أنواع الصبر الثلاثة، وتحقق أن يكون الصائم من الصابرين، وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

- الثالث: أن الصوم جنة أي: وقاية وستر يقي الصائم من اللغو والرفث، ولذلك قال: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب»^(٣)، ويقيه أيضا من النار، ولذلك روي عن جابر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام جنة يستجن بها العبد من النار»^(٤) (٥).

- الرابع: أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؛ لأنها من آثار الصيام فكانت طيبة عند الله سبحانه ومحبوبة له، وهذا دليل على عظيم شأن الصيام عند الله حتى إن الشيء المكروه

(١) مسلم الصيام (١١٥١)، النسائي الصيام (٢٢١٥)، ابن ماجه الصيام (١٦٣٨)، أحمد (٣٩٥/٢)، مالك الصيام (٦٩٠)، الدارمي الصوم (١٧٧٠).

(٢) البخاري الصوم (١٧٩٥)، الترمذي الصوم (٧٦٤)، النسائي الصيام (٢٢١٦)، ابن ماجه الصيام (١٦٣٨).

(٣) البخاري الصوم (١٨٠٥)، مسلم الصيام (١١٥١)، النسائي الصيام (٢٢١٦)، أبو داود الصوم (٢٣٦٣)، أحمد (٢٧٣/٢)، مالك الصيام (٦٨٩).

(٤) أحمد (٣٩٦/٣).

(٥) رواه الإمام أحمد بإسناد حسن.

المستحَبَّث عند الناس يكون محبوبا عند الله وطيبا لكونه نشأ عن طاعته بالصيام.

- **الخامس:** أن للصائم فرحتين: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، أما فرحه عند فطره فيفرح بما أنعم الله عليه من القيام بعبادة الصيام الذي هو من أفضل الأعمال الصالحة، وكم من أناس حرموه فلم يصوموا، ويفرح بما أباح الله له من الطعام والشراب والنكاح الذي كان مُحَرَّمًا عليه حال الصوم. وأما فرحه عند لقاء ربه فيفرح بصومه حين يجد جزاءه عند الله تعالى مُؤَفَّرًا كاملاً في وقت هو أحوج ما يكون إليه حين يقال: أين الصائمون ليدخلوا الجنة من باب الريان الذي لا يدخله أحد غيرهم؟

وفي هذا الحديث إرشاد للصائم إذا ساءه أحد أو قاتله أن لا يقابله بالمثل لئلا يزداد السباب والقتال، وأن لا يضعف أمامه بالسكوت، بل يخبره بأنه صائم إشارة إلى أنه لن يقابله بالمثل احتراماً للصوم لا عجزاً عن الأخذ بالثأر، وحينئذ ينقطع السباب والقتال: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

- **ومن فضائل الصوم:** أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة فَشَفِّعْنِي فِيهِ، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قال: فيشفعان» (١) (٢).

إخواني: فضائل الصوم لا تُدْرَكُ حتى يقوم الصائم بآدابه، فاجتهدوا في إتقان صيامكم وحفظ حدوده، وتوبوا إلى ربكم من تقصيركم في ذلك، اللهم احفظ صيامنا واجعله شافعاً لنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه.

(١) أحمد (١٧٤/٢).

(٢) رواه أحمد والطبراني والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال المنذري: رجاله محتج بهم في الصحيح.

المجلس الثالث

في حكم صيام رمضان

الحمد لله الذي لا مانع لما وهب، ولا معطي لما سلب، طاعته للعالمين أفضل مكتسب، وتقواه للمتقين أعلى نسب، هياً قلوب أوليائه للإيمان وكتب، وسهل لهم في جانب طاعته كل نَصَب، فلم يجدوا في سبيل خدمته أدنى تعب.

أحمده على ما منحنا من فضله ووهب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هزم الأحزاب وغلب، وأشهد أن مُحمّداً عبده ورسوله الذي اصطفاه الله وانتخب، صلى الله عليه وعلى صحبه أبي بكر الفائق في الفضائل والرتب، وعلى عمر الذي فر الشيطان منه وهرب، وعلى عثمان ذي النورين التقي النقي الحسب، وعلى علي صهره وابن عمه في النسب، وعلى بقية أصحابه الذين اكتسبوا في الدين أعلى فخر ومكتسب، وعلى التابعين لهم بإحسان ما أشرق النجم وغرب، وسلم تسليمًا.

إخواني: إن صيام رمضان أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٥﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٥].

وقال النبي ﷺ «بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»^(١) ^(٢) ولمسلم: «وصوم رمضان وحج البيت»^(٣)، وأجمع المسلمون على فرضية صوم رمضان إجماعاً قطعياً معلوماً بالضرورة من دين الإسلام، فمن أنكر وجوبه فقد كفر، فَيُسْتَتَابُ فإن تاب وأقر بوجوبه وإلا قُتِلَ كافراً مُرْتَدًّا عن الإسلام، لا يُعَسَّلُ ولا يُكْفَنُ ولا يُصَلَّى عليه ولا يُدْعَى له بالرحمة ويدفن لثلاً يؤذي الناس برأئحته ويتأذى أهله بمشاهدته.

فُرِضَ صِيَامُ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، فَصَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ، وَكَانَ فَرَضَ الصِّيَامِ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ:

* **المرحلة الأولى:** التخيير بين الصيام والإطعام مع تفضيل الصيام عليه.

* **المرحلة الثانية:** تعيين الصيام بدون تخيير، فعن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] كَانَ مِنْ أَرَادَ أَنْ يَفْطِرَ وَيَفْتَدِيَ (يَعْنِي فَعَلَ) حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا فَنَسَخَتْهَا، يَعْنِي بِمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فَأَوْجَبَ اللَّهُ الصِّيَامَ عَيْنًا بِدُونِ تَخْيِيرٍ^(٤) وَلَا يَجِبُ الصَّوْمُ حَتَّى يَثْبُتَ دُخُولُ الشَّهْرِ، فَلَا يَصُومُ قَبْلَ دُخُولِ الشَّهْرِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ»^(٥) ^(٦) وَتُحْكَمُ بِدُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَمْرَيْنِ:

* **الأول:** رؤية هلاله لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]،

(١) البخاري الإيمان (٨)، مسلم الإيمان (١٦)، الترمذي الإيمان (٢٦٠٩)، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠١)، أحمد (٩٣/٢).

(٢) متفق عليه.

(٣) مسلم الإيمان (٨)، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠)، أبو داود السنة (٤٦٩٥)، ابن ماجه المقدمة (٦٣).

(٤) متفق عليه.

(٥) البخاري الصوم (١٨١٥)، مسلم الصيام (١٠٨٢)، الترمذي الصوم (٦٨٤)، النسائي الصيام (٢١٧٣)،

أبو داود الصوم (٢٣٣٥)، ابن ماجه الصيام (١٦٥٠)، أحمد (٢٨١/٢)، الدارمي الصوم (١٦٨٩).

(٦) رواه البخاري.

وقول النبي ﷺ «إذا رأيتم الهلال فصوموا»^(١) ^(٢) ولا يشترط أن يراه كل واحد بنفسه، بل إذا رآه من يثبت بشهادته دخول الشهر وجب الصوم على الجميع.

ويُشترط لقبول الشهادة بالرؤية أن يكون الشاهد بالغاً عاقلاً مسلماً موثقاً بخبره لأمانته وبصره، فأما الصغير فلا يثبت الشهر بشهادته لأنه لا يُوثق به وأولى منه المجنون، والكافر لا يثبت الشهر بشهادته أيضاً لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: إني رأيت الهلال - يعني رمضان - فقال: "أتشهد أن لا إله إلا الله؟" قال: نعم. قال: "أتشهد أن محمداً رسول الله؟" قال: نعم. قال: "يا بلال أذن في الناس فليصوموا غداً»^(٣) ^(٤) ومن لا يُوثق بخبره بكونه معروفاً بالكذب أو بالتسرع أو كان ضعيف البصر بحيث لا يمكن أن يراه فلا يثبت الشهر بشهادته للشك في صدقه أو رجحان كذبه، ويثبت دخول شهر رمضان خاصة بشهادة رجل واحد «لقول ابن عمر رضي الله عنهما: تراءى الناس الهلال فأخبرت النبي ﷺ أني رأيتَه فصام وأمر الناس بصيامه»^(٥) ^(٦) ومن رآه متيقناً برؤيته وجب عليه إخبار ولاة الأمور بذلك، وكذلك من رأى هلال شوال وذو الحجة؛ لأنه يترتب على ذلك واجب الصوم والفطر والحج - وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب -، وإن رآه وحده في مكان بعيد لا يمكنه إخبار ولاة الأمور فإنه يصوم ويسعى في إيصال الخبر إلى ولاة الأمور بقدر ما يستطيع.

وإذا أُعلن ثبوت الشهر من قِبَل الحكومة بالمذيع أو غيره وجب العمل بذلك في دخول الشهر وخروجه في رمضان أو غيره؛ لأن إعلانَه من قِبَل الحكومة حجة شرعية يجب العمل بها،

(١) مسلم الصيام (١٠٨٠)، النسائي الصيام (٢١٢٠)، ابن ماجه الصيام (١٦٥٤)، أحمد (١٤٥/٢)، مالك الصيام (٦٣٤)، الدارمي الصوم (١٦٨٤).

(٢) متفق عليه.

(٣) الترمذي الصوم (٦٩١)، النسائي الصيام (٢١١٢)، أبو داود الصوم (٢٣٤٠)، ابن ماجه الصيام (١٦٥٢)، الدارمي الصوم (١٦٩٢).

(٤) أخرجه الخمسة إلا أحمد.

(٥) أبو داود الصوم (٢٣٤٢)، الدارمي الصوم (١٦٩١).

(٦) رواه أبو داود والحاكم وقال: على شرط مسلم.

ولذلك أمر النبي ﷺ بلالا أن يؤذن في الناس معلنا ثبوت الشهر ليصوموا حين ثبت عنده ﷺ دخوله، وجعل ذلك الإعلام ملزما لهم بالصيام.

وإذا ثبت دخول الشهر ثبوتا شرعيا فلا عبرة بمنازل القمر؛ لأن النبي ﷺ علق الحكم برؤية الهلال لا بمنزله فقال ﷺ «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا»^(١) ^(٢) وقال ﷺ «إن شهد شاهدان مسلمان فصوموا وأفطروا»^(٣) ^(٤).

- الأمر الثاني: مما يُحْكَم فيه بدخول الشهر: إكمال الشهر السابق قبله ثلاثين يوما؛ لأن الشهر القمري لا يمكن أن يزيد على ثلاثين يوما، ولا ينقص عن تسعة وعشرين يوما، وربما يتوالى شهران أو ثلاثة إلى أربعة ثلاثين يوما، أو شهران أو ثلاثة إلى أربعة تسعة وعشرين يوما، لكن الغالب شهر أو شهران كاملة والثالث ناقص، فمتى تم الشهر السابق ثلاثين يوما حُكِمَ شرعا بدخول الشهر الذي يليه وإن لم يُرَ الهلال لقول النبي ﷺ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُمِّي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين»^(٥) ^(٦) وعند البخاري: «فإن غُمِّي عليكم فأكملوا عدّة شعبان ثلاثين»^(٧)، وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان، فإن غمَّ أتم عليه ثلاثين يوما ثم صام»^(٨) ^(٩).

(١) مسلم الصيام (١٠٨٠)، النسائي الصيام (٢١٢٠)، ابن ماجه الصيام (١٦٥٤)، أحمد (١٤٥/٢)، مالك الصيام (٦٣٤)، الدارمي الصوم (١٦٨٤).

(٢) متفق عليه.

(٣) النسائي الصيام (٢١١٦)، أحمد (٣٢١/٤).

(٤) رواه أحمد، وإسناده لا بأس به على اختلاف فيه، وله شاهد عند أبي داود والدارقطني وقال: هذا إسناد متصل صحيح.

(٥) البخاري الصوم (١٨١٠)، مسلم الصيام (١٠٨١)، الترمذي الصوم (٦٨٤)، النسائي الصيام (٢١٢٣)، ابن ماجه الصيام (١٦٥٥)، أحمد (٤٩٧/٢)، الدارمي الصوم (١٦٨٥).

(٦) رواه مسلم.

(٧) البخاري الصوم (١٨١٠)، أحمد (٤٥٦/٢).

(٨) أبو داود الصوم (٢٣٢٥).

(٩) أخرجه ابن خزيمة وأبو داود والدارقطني وصححه.

وبهذه الأحاديث تبين أنه لا يصام رمضان قبل رؤية هلاله، فإن لم يُرَ الهلال أُكْمِلَ شعبانُ ثلاثين يوماً، ولا يصام يوم الثلاثين منه سواء كانت الليلة صحواً أم غيماً لقول عمار بن ياسر رضي الله عنه «من صام اليوم يشك فيه فقد عصى أبا القاسم رضي الله عنه» (١) (٢).

اللهم وَفَّقْنَا لاتباع الهدى، وَجَنَّبْنَا أسباب الهلاك والشقاء، واجعل شهرنا هذا لنا شهر خير وبركة، وأعنا فيه على طاعتك، وَجَنَّبْنَا طرق معصيتك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

(١) الترمذي الصوم (٦٨٦)، النسائي الصيام (٢١٨٨)، أبو داود الصوم (٢٣٣٤)، ابن ماجه الصيام (١٦٤٥)، الدارمي الصوم (١٦٨٢).

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وذكره البخاري تعليقا.

المجلس الرابع

في حكم قيام رمضان

الحمد لله الذي أعان بفضلُه الأقدام السالكة، وأنقذ برحمته النفوس الهالكة، ويسّر من شاء ليسرى فرغب في الآخرة، أحمده على الأمور اللذيذة والشائكة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو العزة والقهر فكل النفوس له ذليلة عانية، وأشهد أن مُحمّدا عبده ورسوله القائم بأمر ربه سرا وعلانية، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الذي تُحرّض عليه الفرقة الأفكة، وعلى عمر الذي كانت نفسه لنفسه مالكة، وعلى عثمان منفق الأموال المتكاثرة، وعلى علي مفرّق الأبطال في الجموع المتكاثفة، وعلى بقية الصحابة والتابعين لهم بإحسان ما قرعت الأقدام السالكة، وسلم تسليما.

إخواني: لقد شرع الله لعباده العبادات ونوعها لهم ليأخذوا من كل نوع منها بنصيب، ولثلا يملوا من النوع الواحد فيتركوا العمل فيشقى الواحد منهم ويخيب، وجعل منها فرائض لا يجوز النقص فيها ولا الإخلال، ومنها نوافل يحصل بها زيادة التقرب إلى الله والإكمال.

* فمن ذلك الصلاة: فرض الله منها على عباده خمس صلوات في اليوم والليلة خمسا في الفعل وخمسين في الميزان، وندب الله إلى زيادة التطوع من الصلوات تكميلا لهذه الفرائض وزيادة في القرى إليه، فمن هذه النوافل الرواتب التابعة للصلوات المفروضة: ركعتان قبل صلاة الفجر، وأربع ركعات قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، ومنها صلاة الليل التي امتدح الله في كتابه القائمين بها فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤]، وقال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧]، وقال النبي ﷺ «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»^(١)

(١) مسلم الصيام (١١٦٣)، الترمذي الصلاة (٤٣٨)، أبو داود الصوم (٢٤٢٩)، أحمد (٣٤٤/٢).

(١) وقال ﷺ «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» (٢) (٣).

ومن صلاة الليل الوتر، أقله ركعة وأكثره إحدى عشرة ركعة، فيوتر بركعة مفردة لقول النبي ﷺ «من أحب أن يوتر بواحدة فليفعل» (٤). " (٥) فإن أحب سردها بسلام واحد لما روى الطحاوي أن عمر بن الخطاب ﷺ أوتر بثلاث ركعات لم يسلم إلا في آخرهن، وإن أحب صلى ركعتين وسلم ثم صلى الثالثة لما روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يسلم بين الركعتين والركعة في الوتر حتى كان يأمر ببعض حاجته، ويوتر بخمس فيسردها جميعا لا يجلس ولا يسلم إلا في آخرهن لقول النبي ﷺ «من أحب أن يوتر بخمس فليفعل» (٦) (٧). " وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر من ذلك بخمس لا يجلس في شيء منهن إلا في آخرهن» (٨). (٩) ويوتر بسبع فيسردها كالخمس لقول أم سلمة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يوتر بسبع وخمس لا يفصل بينهما بسلام ولا كلام» (١٠) (١١).

ويوتر بتسع فيسردها لا يجلس إلا في الثامنة، فيقرأ التشهد ويدعو ثم يقوم ولا يسلم فيصلي

(١) رواه مسلم.

(٢) الترمذي صفة القيامة والرفائق والورع (٢٤٨٥)، ابن ماجه الأئمة (٣٢٥١)، الدارمي الصلاة (١٤٦٠).

(٣) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح وصححه الحاكم.

(٤) النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٧١٢)، أبو داود الصلاة (١٤٢٢)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها

(١١٩٠)، أحمد (٤١٨/٥)، الدارمي الصلاة (١٥٨٢).

(٥) رواه أبو داود والنسائي.

(٦) النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٧١٢)، أبو داود الصلاة (١٤٢٢).

(٧) رواه أبو داود والنسائي.

(٨) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٣٧)، الترمذي الصلاة (٤٥٩)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها

(١٣٥٩).

(٩) متفق عليه.

(١٠) النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٧١٥)، أحمد (٢٩٠/٦).

(١١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه.

التاسعة ويتشهد ويدعو ويسلم لحديث عائشة رضي الله عنها في وتر رسول الله ﷺ قالت: «كان يصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم، ثم يقوم فيصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليماً يسمعنا»^(١) ^(٢) ويصلي إحدى عشرة ركعة، فإن أحب سلم من كل ركعتين وأوتر بواحدة لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يصلي ما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة»^(٣) ^(٤) وإن أحب صلى أربعاً ثم أربعاً ثم ثلاثاً لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يصلي أربعاً»^(٥) ^(٦) «فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً»^(٧) ^(٨) وقال الفقهاء من الحنابلة والشافعية: يجوز في الوتر بإحدى عشرة أن يسردها بتشهد واحد أو بتشهدين في الأخيرة والتي قبلها.

وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها لقول النبي ﷺ «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٩) ^(١). ومعنى قوله: "إيماناً" أي: إيماناً بالله وبما أعده من

(١) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٤٦)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١١٩١)، الدارمي الصلاة (١٤٧٥).

(٢) رواه أحمد ومسلم.

(٣) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٣٦)، الترمذي الصلاة (٤٤٠)، النسائي الأذان (٦٨٥)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٨).

(٤) رواه الجماعة إلا الترمذي.

(٥) البخاري الجمعة (١٠٩٦)، الترمذي الصلاة (٤٣٩)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٩٧)، أبو داود الصلاة (١٣٤١)، أحمد (٣٦/٦)، مالك النداء للصلاة (٢٦٥).

(٦) يحتتمل أن تكون الأربع بتسليم واحد وهو ظاهر اللفظ، ويحتتمل أن تكون بتسليم من كل ركعتين، لكنه إذا صلى أربعاً فصل، ثم صلى أربعاً كذلك، وهذا هو الموافق لقوله "صلاة الليل مثنى مثنى".

(٧) البخاري المناقب (٣٣٧٦)، الترمذي الصلاة (٤٣٩)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٩٧)، أبو داود الصلاة (١٣٤١)، أحمد (٣٦/٦)، مالك النداء للصلاة (٢٦٥).

(٨) متفق عليه.

(٩) البخاري الإيمان (٣٧)، الترمذي الصوم (٦٨٣)، النسائي الصيام (٢٢٠٢)، أبو داود الصلاة (١٣٧١)،

الثواب للقائمين، ومعنى قوله: " احتساباً " أي: طلباً لثواب الله لم يحمله على ذلك رياء ولا سمعة ولا طلب مال ولا جاه، وقيام رمضان شامل للصلاة في أول الليل وآخره، وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان، فينبغي الحرص عليها والاعتناء بها واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليالٍ معدودة ينتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها، وإنما سُمِّيَتْ تراويح لأن الناس كانوا يطيلونها جدا فكلما صلوا أربع ركعات استراحوا قليلا.

وكان النبي ﷺ أول من سنَّ الجماعة في صلاة التراويح في المسجد، ثم تركها خوفاً من أن تُفرض على أمته، فعن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ صلى في المسجد ذات ليلة وصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة، وكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال: " قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تُفرض عليكم»^(٢) ^(٣) وذلك في رمضان. «وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: صمنا مع النبي ﷺ فلم يقيم بنا حتى بقي سبع من الشهر، فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، ثم لم يقيم بنا في السادسة ثم قام بنا في الخامسة حتى ذهب شطر الليل أي: نصفه، فقلنا: يا رسول الله لو نَقَلْتَنَا بقية ليلتنا هذه؟ فقال ﷺ " إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتِبَ له قيام ليلة»^(٤) ^(٥).

واختلف السلف الصالح في عدد الركعات في صلاة التراويح والوتر معها فقيل: إحدى وأربعون ركعة، وقيل: تسع وثلاثون، وقيل: تسع وعشرون، وقيل: ثلاث وعشرون، وقيل: تسع عشرة، وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: إحدى عشرة، وقيل غير ذلك، وأرجح هذه الأقوال أنها

الدارمي الصوم (١٧٧٦).

(١) متفق عليه.

(٢) البخاري الجمعة (١٠٧٧)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٠٤)، أبو داود الصلاة (١٣٧٣)، مالك النداء للصلاة (٢٥٠).

(٣) متفق عليه.

(٤) الترمذي الصوم (٨٠٦)، النسائي السهو (١٣٦٤)، أبو داود الصلاة (١٣٧٥)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٢٧)، أحمد (١٦٠/٥)، الدارمي الصوم (١٧٧٧).

(٥) رواه أهل السنن بسند صحيح.

إحدى عشرة أو ثلاث عشرة لِمَا رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها «أنها سُئِلَتْ: كيف كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ فقالت: ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة»^(١) ^(٢) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة يعني من الليل»^(٣) ^(٤) وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا بن كعب وتميما الداري أن يقوموا للناس بإحدى عشرة ركعة^(٥) وكان السلف الصالح يطيلونها جدا، ففي حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: كان القارئ يقرأ بالمئين يعني بمئات الآيات حتى كنا نعتد على العصي من طول القيام، وهذا خلاف ما عليه كثير من الناس اليوم حيث يصلون التراويح بسرعة عظيمة لا يأتون فيها بواجب الهدوء والطمأنينة التي هي ركن من أركان الصلاة لا تصح الصلاة بدونها، فيخلون بهذا الركن ويتعبون من خلفهم من الضعفاء والمرضى وكبار السن، يجنون على أنفسهم ويجنون على غيرهم، وقد ذكر العلماء رحمهم الله أنه يُكْرَهُ للإمام أن يُسْرِع سرعة تمنع المأمومين فعل ما يسن، فكيف بسرعة تمنعهم فعل ما يجب؟ نسأل الله السلامة.

ولا ينبغي للرجل أن يتخلف عن صلاة التراويح لينال ثوابها وأجرها، ولا ينصرف حتى ينتهي الإمام منها ومن الوتر ليحصل له أجر قيام الليل كله، ويجوز للنساء حضور التراويح في المسجد إذا أمنت الفتنة منهن وبهن لقول النبي صلى الله عليه وسلم «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»^(٦) ^(٧). ولأن هذا من عمل السلف الصالح رضي الله عنهم، لكن يجب أن تأتي مسترّة متحجبة غير متبرجة ولا متطيبة ولا

(١) البخاري الجمعة (١٠٩٦)، الترمذي الصلاة (٤٣٩)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٩٧)، أبو داود الصلاة (١٣٤١)، أحمد (٧٣/٦)، مالك النداء للصلاة (٢٦٥).

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري الجمعة (١٠٨٧)، الترمذي الصلاة (٤٤٢)، أبو داود الصلاة (١٣٦٥).

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه الإمام مالك في الموطأ.

(٦) البخاري الجمعة (٨٥٨)، مسلم الصلاة (٤٤٢)، النسائي المساجد (٧٠٦)، ابن ماجه المقدمة (١٦)، أحمد

(٣٦/٢)، الدارمي المقدمة (٤٤٢).

(٧) متفق عليه.

رافعة صوتا ولا مبدية زينة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، أي: لكن ما ظهر منها فلا يمكن إخفاؤه وهو الجلباب والعباءة ونحوهما، ولأن النبي ﷺ «لما أمر النساء بالخروج إلى الصلاة يوم العيد قالت أم عطية: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب. قال: " لِتُلْبِسَهَا أُخْتُهَا مِنْ جَلْبَابِهَا.»^(١) ^(٢) والسنة للنساء أن يتأخرن عن الرجال ويعدن عنهم، ويبدأن بالصف المؤخر فالمؤخر عكس الرجال، لقول النبي ﷺ «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»^(٣) ^(٤) وينصرفن من المسجد فور تسليم الإمام، ولا يتأخرن إلا لعذر «لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه وهو يمكث في مقامه يسيرا قبل أن يقوم، قالت: نرى - والله أعلم - أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال»^(٥) ^(٦).

اللهم وفقنا لما وفققت القوم إليه، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري الحج (١٥٦٩)، مسلم صلاة العيدين (٨٩٠)، الترمذي الجمعة (٥٣٩)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٠٧)، أحمد (٨٤/٥)، الدارمي الصلاة (١٦٠٩).

(٢) متفق عليه.

(٣) مسلم الصلاة (٤٤٠)، الترمذي الصلاة (٢٢٤)، النسائي الإمامة (٨٢٠)، أبو داود الصلاة (٦٧٨)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٠٠)، أحمد (٣٤٠/٢)، الدارمي الصلاة (١٢٦٨).

(٤) رواه مسلم.

(٥) البخاري الأذان (٨٣٢)، النسائي السهو (١٣٣٣)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٣٢)، أحمد (٣١٦/٦).

(٦) رواه البخاري.

المجلس الخامس

في فضل تلاوة القرآن وأنواعها

الحمد لله الداعي إلى بابه، الموفق من شاء لصوابه، أنعم بإنزال كتابه، يشتمل على مُحْكَمٍ ومتشابه، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه، وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنّا به، أحمده على الهدى وتيسير أسبابه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة من عقابه، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله أكمل الناس عملا في ذهابه وإيابه، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر أفضل أصحابه، وعلى عمر الذي أعز الله به الدين واستقامت الدنيا به، وعلى عثمان شهيد داره ومحرابه، وعلى علي المشهور بحل المشكل من العلوم وكشف نقابه، وعلى آله وأصحابه ومن كان أولى به، وسلم تسليما.

إخواني: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

تلاوة كتاب الله على نوعين:

تلاوة حُكْمِيَّة وهي تصديق أخباره وتنفيذ أحكامه بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وسيأتي الكلام عليها في مجلس آخر إن شاء الله.

والنوع الثاني: تلاوة لفظية

وهي قراءته وقد جاءت النصوص الكثيرة في فضلها إما في جميع القرآن، وإما في سور أو آيات معينة منه، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١) ^(١) وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة،

(١) البخاري فضائل القرآن (٤٧٣٩)، الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٨)، أبو داود الصلاة (١٤٥٢)، ابن ماجه المقدمة (٢١١)، أحمد (٦٩/١)، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٣٨).

والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» (٢) (٣).

والأجران أحدهما على التلاوة، والثاني على مشقتها على القارئ، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُؤْمَنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلَ الْأَثْرَجَةِ رِيحُهَا طِيبٌ وَطَعْمُهَا طِيبٌ، وَمِثْلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حَلْوٌ» (٤) (٥) وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» (٦) (٧).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله صلى الله عليه وسلم خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل» (٨) (٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» (١٠) (١١) وقال صلى الله عليه وسلم «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي

(١) رواه البخاري.

(٢) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٩٨)، الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٤)، أبو داود الصلاة (١٤٥٤)، ابن ماجه الأدب (٣٧٧٩)، أحمد (٩٨/٦)، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٦٨).

(٣) متفق عليه.

(٤) البخاري الأُطعمة (٥١١١)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٩٧)، الترمذي الأمثال (٢٨٦٥)، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٣٨)، أبو داود الأدب (٤٨٢٩)، ابن ماجه المقدمة (٢١٤)، أحمد (٤٠٨/٤)، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٦٣).

(٥) متفق عليه.

(٦) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٤)، أحمد (٢٥٥/٥).

(٧) رواه مسلم.

(٨) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٣)، أبو داود الصلاة (١٤٥٦)، أحمد (١٥٤/٤).

(٩) رواه مسلم.

(١٠) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩)، الترمذي القراءات (٢٩٤٥)، أبو داود الصلاة (١٤٥٥)، ابن ماجه المقدمة (٢٢٥)، أحمد (٢٥٢/٢).

(١١) رواه مسلم.

بيده هو أشد تَقَلُّتًا من الإبل في عُقْلها»^(١) ^(٢) وقال ﷺ «لا يقل أحدكم: نسيت آية كيت وكيت بل هو نَسِيٌّ»^(٣) ^(٤)؛ وذلك أن قوله: نسيت قد يُشعر بعدم المبالاة بما حفظ من القرآن حتى نسيه، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»^(٥) ^(٦) وعنه رضي الله عنه أيضا أنه قال: «إن هذا القرآن مَأْدِبَةٌ اللهُ فاقبلوا مَأْدِبَتَهُ ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين، والشعاع النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يزيغ فيُسْتَعْتَبَ ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه ولا يُخْلَقُ من كثرة الترداد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»^(٧) ^(٨).

إخواني: هذه فضائل قراءة القرآن، وهذا أجره لمن احتسب الأجر من الله والرضوان، أجور كبيرة لأعمال يسيرة، فالمغبون من فرط فيه، والخاسر من فاتته الربح حين لا يمكن تلافيه، وهذه الفضائل شاملة لجميع القرآن، وقد وردت السنة بفضائل سور معينة مخصصة.

* فمن تلك السور سورة الفاتحة، فعن أبي سعيد بن المَعْلَى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «لأعلمنك أعظم سورة في القرآن: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي

(١) البخاري فضائل القرآن (٤٧٤٦)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٩١)، أحمد (٣٩٧/٤).

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري فضائل القرآن (٤٧٤٤)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٩٠)، الترمذي القراءات (٢٩٤٢)،

النسائي الافتتاح (٩٤٣)، أحمد (٤١٧/١)، الدارمي الرقاق (٢٧٤٥).

(٤) رواه مسلم.

(٥) الترمذي فضائل القرآن (٢٩١٠).

(٦) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد صححه بعض المتأخرين موقوفا على

عبد الله.

(٧) الدارمي فضائل القرآن (٣٣١٥).

(٨) رواه الحاكم.

أوتيته»^(١) ^(٢) ومن أجل فضيلتها كانت قراءتها ركنا في الصلاة لا تصح الصلاة إلا بها، قال النبي ﷺ «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(٣) ^(٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج» يقولها ثلاثا، ف قيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام. فقال: اقرأ بها في نفسك^(٥).

ومن السور المعينة سورة البقرة وآل عمران، قال النبي ﷺ «اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران؛ فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة - يعني السحرة -»^(٦) ^(٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان»^(٨) ^(٩)؛ وذلك لأن فيها آية الكرسي، وقد صح عن رسول الله ﷺ «أن من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

«وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل قال وهو عند النبي ﷺ "هذا باب قد فُتِحَ من السماء ما فُتِحَ قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال: أُنْبِئْ بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك:

(١) البخاري فضائل القرآن (٤٧٢٠)، النسائي الافتتاح (٩١٣)، أبو داود الصلاة (١٤٥٨)، ابن ماجه الأدب (٣٧٨٥)، أحمد (٢١١/٤)، الدارمي الصلاة (١٤٩٢).

(٢) رواه البخاري.

(٣) البخاري الأذان (٧٢٣)، مسلم الصلاة (٣٩٤)، الترمذي الصلاة (٢٤٧)، النسائي الافتتاح (٩١١)، أبو داود الصلاة (٨٢٢)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٣٧)، أحمد (٣١٣/٥)، الدارمي الصلاة (١٢٤٢).

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

(٦) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٤)، أحمد (٢٤٩/٥).

(٧) رواه مسلم.

(٨) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٨٠)، الترمذي فضائل القرآن (٢٨٧٧)، أحمد (٣٧٨/٢).

(٩) رواه مسلم.

فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته»^(١) ^(٢).

ومن السور المعينة في الفضيلة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، فعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال فيها: «والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن»^(٣) ^(٤) وليس معنى كونها تعدله في الفضيلة أنها تجزئ عنه، ولذلك لو قرأها في الصلاة ثلاث مرات لم تجزئه عن الفاتحة، ولا يلزم من كون الشيء معادلاً لغيره في الفضيلة أن يجزئ، فعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمد عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»^(٥) ^(٦) ومع ذلك فلو كان عليه أربع رقاب كفارة فقال هذا الذكر لم يُجْزئه عن هذه الرقاب وإن كان يعادلها في الفضيلة.

ومن السور المعينة في الفضيلة سورتا المعوذتين ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]: فعن عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ألم تر آيات أنزلت لم ير مثلهن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]»^(٧) وعنه ﷺ «أنه أمر عقبة أن يقرأ بهما ثم قال: " ما سألت سائل بمثلها ولا استعاذ مستعيز بمثلها»^(٨) ^(٩).

(١) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٦)، النسائي الافتتاح (٩١٢).

(٢) رواه مسلم.

(٣) البخاري فضائل القرآن (٤٧٢٦)، النسائي الافتتاح (٩٩٥)، أبو داود الصلاة (١٤٦١)، أحمد (٣٥/٣)، مالك النداء للصلاة (٤٨٣).

(٤) رواه البخاري.

(٥) البخاري الدعوات (٦٠٤١)، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٣)، الترمذي الدعوات (٣٥٥٣)، أحمد (٤١٨/٥).

(٦) متفق عليه.

(٧) رواه مسلم.

(٨) النسائي الاستعاذة (٥٤٣٨)، أبو داود الصلاة (١٤٦٢)، أحمد (١٤٤/٤)، الدارمي فضائل القرآن (٣٤٤٠).

(٩) رواه النسائي.

فاجتهدوا إخواني في كثرة قراءة القرآن المبارك لا سِيَّما في هذا الشهر الذي أنزل فيه، فإن لكثرة القراءة فيه مزية خاصة، وكان جبريل يعارض النبي ﷺ القرآن في رمضان كل سنة مرة، فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه مرتين تأكيدا وتثبيتا، وكان السلف الصالح ﷺ يُكثِّرون من تلاوة القرآن في رمضان في الصلاة وغيرها، وكان الزهري رحمه الله إذا دخل رمضان يقول: إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام، وكان مالك رحمه الله إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالس العلم وأقبل على قراءة القرآن من المصحف، وكان قتادة رحمه الله يختم القرآن في كل سبع ليالٍ دائما وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأخير منه في كل ليلة، وكان إبراهيم النخعي رحمه الله يختم القرآن في كل ثلاث ليالٍ وفي العشر الأواخر في كل ليلتين، وكان الأسود رحمه الله يقرأ القرآن كله في ليلتين في جميع الشهر.

فاقتدوا رحمكم الله بمؤلاء الأخيار واتَّبِعُوا طريقتهم تلحقوا بالبررة الأطهار، واغتنموا ساعات الليل والنهار بما يُقَرِّبكم إلى العزيز الغفار، فإن الأعمار تُطَوَّى سريعا والأوقات تمضي جميعا وكأنها ساعة من نهار.

اللهم ارزقنا تلاوة كتابك على الوجه الذي يرضيك عنا، واهدنا به سبل السلام، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، واجعله حجة لنا لا علينا يا رب العالمين.

اللهم ارفع لنا به الدرجات، وأنقذنا به من الدركات، وكفر عنا به السيئات، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس السادس

في أقسام الناس في الصيام

الحمد لله الذي أتقن بحكمته ما فطر وبتى، وشرع الشرائع رحمة وحكمة طريقا وسننا، وأمرنا بطاعته لا لحاجته بل لنا، يغفر الذنوب لكل من تاب إلى ربه ودنا، ويجزل العطايا لمن كان محسنا ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. أحمده على فضائله سرا وعلنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الفوز بدار النعيم والهنا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي رفعه فوق السماوات فدنا، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر القائم عبادته راضيا بالعنا، الذي شرفه الله بقوله: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، وعلى عمر المُجَدِّ في ظهور الإسلام فما ضعف ولا وني، وعلى عثمان الذي رضي بالقدر وقد حل في الفناء الفنا، وعلى علي القريب في النسب وقد نال المنى، وعلى سائر آله وأصحابه الكرام الأئمة، وسلم تسليما.

إخواني: سبق في المجلس الثالث أن فرضَ الصيام كان في أول الأمر على مرحلتين، ثم استقرت أحكام الصيام فكان الناس فيها أقساما عشرة:

* القسم الأول: المسلم البالغ العاقل المقيم القادر السالم من الموانع، فيجب عليه صوم رمضان أداء في وقته لدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال النبي ﷺ «إِذَا رَأَيْتُمُ الْهَلَالَ فَصُومُوا»^(١) ^(١) وأجمع المسلمون

(١) مسلم الصيام (١٠٨٠)، النسائي الصيام (٢١٢٠)، ابن ماجه الصيام (١٦٥٤)، أحمد (١٤٥/٢)، مالك الصيام (٦٣٤)، الدارمي الصوم (١٦٨٤).

على وجوب الصيام أداء على مَنْ وصفنا.

فأما الكافر فلا يجب عليه الصيام ولا يصح منه لأنه ليس أهلاً للعبادة، فإذا أسلم في أثناء شهر رمضان لم يلزمه قضاء الأيام الماضية، لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وإن أسلم في أثناء يوم منه لزمه إمساك بقية اليوم؛ لأنه صار من أهل الوجوب حين إسلامه، ولا يلزمه قضاؤه لأنه لم يكن من أهل الوجوب حين وقت وجوب الإمساك.

* القسم الثاني: الصغير فلا يجب عليه الصيام حتى يبلغ لقول النبي ﷺ «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيقَ»^(٢) ^(٣) لكن يأمره وليه بالصوم إذا أطاقه تمرينا له على الطاعة ليألفها بعد بلوغه اقتداءً بالسلف الصالح ﷺ، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يُصَوِّمُونَ أولادهم وهم صغار، ويذهبون إلى المسجد فيجعلون لهم اللعبة من العِهْنِ (يعني الصوف أو نحوه) فإذا بكوا من فقد الطعام أعطوهم اللعبة يَتَلَهَّوْنَ بها.

وكثير من الأولياء اليوم يغفلون عن هذا الأمر ولا يأمرون أولادهم بالصيام، بل إن بعضهم يمنع أولاده من الصيام مع رغبتهم فيه، يزعم أن ذلك رحمة بهم، والحقيقة أن رحمتهم هي القيام بواجب تربيتهم على شعائر الإسلام وتعاليمه القِيَّمة، فَمَنْ منعهم مِنْ ذلك أو فرط فيه كان ظالماً لهم ولنفسه أيضاً، نعم إن صاموا فرأى عليهم ضرراً بالصيام فلا حرج عليه في منعهم منه حينئذ.

ويحصل بلوغ الذكر بواحد من أمور ثلاثة:

* أحدهما:

إنزال المني باحتلام أو غيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩]، وقوله ﷺ «غسل الجمعة واجب على كل محتلم»^(٤) ^(١).

(١) متفق عليه.

(٢) الترمذي الحدود (١٤٢٣)، أبو داود الحدود (٤٤٠٣)، ابن ماجه الطلاق (٢٠٤٢)، أحمد (١٥٨/١).

(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الحاكم.

(٤) البخاري الجمعة (٨٣٩)، مسلم الجمعة (٨٤٦)، النسائي الجمعة (١٣٧٥)، أبو داود الطهارة (٣٤١)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٨٩)، أحمد (٦٠/٣)، مالك النداء للصلاة (٢٣٠)، الدارمي الصلاة

* الثاني: نبات شعر العانة وهو الشعر الخشن ينبت حول القبل، لقول عَطِيَّةَ الْفُرَيْطِيِّ رضي الله عنه «عُرِضْنَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ قُرَيْظَةَ فَمَنْ كَانَ مُحْتَلِمًا أَوْ أَنْبَتَ عَاتَتَهُ قُتِلَ وَمَنْ لَا تُرْكُ» (٢) (٣).

* الثالث: بلوغ تمام خمس عشرة سنة لقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «عُرِضْتُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أَحَدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِي» (٤) (يعني للقتال)، زاد البيهقي وابن حبان في صحيحه بسند صحيح: «وَلَمْ يَرِنِي بَلِغْتَ، وَعُرِضْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَنِي» (٥)، (زاد البيهقي وابن حبان في صحيحه بسند صحيح: ورآني بليغت) (٦) قال نافع: فَقَدِمْتُ عَلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ خَلِيفَةُ فَحَدَّثْتَهُ الْحَدِيثَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْحَدَّ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَكُتِبَ لِعَمَّالِهِ أَنْ يَفْرَضُوا (يعني من العطاء) لِمَنْ بَلَغَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً (٧).

ويحصل بلوغ الأنثى بما يحصل به بلوغ الذكر وزيادة أمر رابع وهو الحيض، فمتى حاضت الأنثى فقد بلغت، فيجري عليها قلم التكليف وإن لم تبلغ عشر سنين، وإذا حصل البلوغ أثناء نهار رمضان فإن كان من بلغ صائما أتم صومه ولا شيء عليه، وإن كان مفطرا لزمه إمساك يومه؛ لأنه صار من أهل الوجوب، ولا يلزمه قضاؤه لأنه لم يكن من أهل الوجوب حين وجوب الإمساك.

* القسم الثالث: المجنون وهو فاقد العقل فلا يجب عليه الصيام، لما سبق من قول النبي صلى الله عليه وسلم

(١٥٣٧).

(١) متفق عليه.

(٢) الترمذي السير (١٥٨٤)، النسائي الطلاق (٣٤٢٩)، أبو داود الحدود (٤٤٠٤)، ابن ماجه الحدود (٢٥٤٢)، الدارمي السير (٢٤٦٤).

(٣) رواه أحمد والنسائي، وهو صحيح.

(٤) البخاري الشهادات (٢٥٢١)، مسلم الإمارة (١٨٦٨)، النسائي الطلاق (٣٤٣١)، أبو داود الحدود (٤٤٠٦)، ابن ماجه الحدود (٢٥٤٣)، أحمد (١٧/٢).

(٥) مسلم الإمارة (١٨٦٨)، الترمذي الجهاد (١٧١١)، النسائي الطلاق (٣٤٣١)، أبو داود الحدود (٤٤٠٦)، ابن ماجه الحدود (٢٥٤٣)، أحمد (١٧/٢).

(٦) رواه الجماعة.

(٧) رواه البخاري.

«رفع القلم عن ثلاثة»^(١) (الحديث)، ولا يصح منه الصيام لأنه ليس له عقل يعقل به العبادة وينوبها، والعبادة لا تصح إلا بنية لقول النبي ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٢) ... "، فإن كان يُجَنُّ أحيانا ويفيق أحيانا لزمه الصيام في حال إفاقته دون حال جنونه، وإن جُنَّ في أثناء النهار لم يبطل صومه كما لو أُغْمِيَ عليه بمرض أو غيره؛ لأنه نوى الصوم وهو عاقل بنية صحيحة، ولا دليل على البطلان خصوصا إذا كان معلوما أن الجنون ينتابه في ساعات معينة، وعلى هذا فلا يلزم قضاء اليوم الذي حصل فيه الجنون، وإذا أفاق المجنون أثناء نهار رمضان لزمه إمساك بقية يومه؛ لأنه صار من أهل الوجوب، ولا يلزمه قضاؤه كالصبي إذا بلغ والكافر إذا أسلم.

* القسم الرابع: الهَرَم الذي بلغ الهذيان وسقط تمييزه فلا يجب عليه الصيام ولا الإطعام عنه؛ لسقوط التكليف عنه بزوال تمييزه فَأَشْبَهَ الصبي قبل التمييز، فإن كان يميز أحيانا ويهذي أحيانا وجب عليه الصوم في حال تمييزه دون حال هذيانه، والصلاة كالصوم لا تلزمه حال هذيانه وتلزمه حال تمييزه.

* القسم الخامس: العاجز عن الصيام عجزا مستمرا لا يرجى زواله كالكبير والمريض مرضا لا يرجى برؤه كصاحب السرطان ونحوه، فلا يجب عليه الصيام لأنه لا يستطيعه وقد قال الله سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، لكن يجب عليه أن يطعم بدل الصيام عن كل يوم مسكينا؛ لأن الله سبحانه جعل الإطعام معادلا للصيام حين كان التخيير بينهما أول ما فُرِضَ الصيام، فتعين أن يكون بدلا عن الصيام عند العجز عنه لأنه معادل له.

ويُجَيَّرُ في الإطعام بين أن يفرقه حبا على المساكين لكل واحد مُدٌّ من البُرِّ ربع الصاع النبوي، ووزنه - أي: المد - نصف كيلو وعشرة غرامات بالبر الرزين الجيد، وبين أن يُصَلِّحَ طعاما فيدعو

(١) الترمذي الحدود (١٤٢٣)، أبو داود الحدود (٤٤٠٣)، ابن ماجه الطلاق (٢٠٤٢)، أحمد (١٥٨/١).

(٢) البخاري بدء الوحي (١)، مسلم الإمارة (١٩٠٧)، الترمذي فضائل الجهاد (١٦٤٧)، النسائي الطهارة

(٧٥)، أبو داود الطلاق (٢٢٠١)، ابن ماجه الزهد (٤٢٢٧)، أحمد (٤٣/١).

إليه مساكين بقدر الأيام التي عليه، قال البخاري - رحمته - : وأما الشيخ الكبير إذا لم يُطَق الصيام فقد أطمع أنس بعدما كبر عاما أو عامين كل يوم مسكينا خبزا ولحما وأفطر، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا ^(١).

إخواني: الشرع حكمة من الله تعالى ورحمة رحم الله بها عباده؛ لأنه شرع مبني على التسهيل والرحمة وعلى الإتقان والحكمة، أوجب الله به على كل واحد من المكلفين ما يناسب حاله ليقوم كل أحد بما عليه منشرحا به صدره ومطمئنة به نفسه، يرضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً؛ فاحمدوا الله أيها المؤمنون على هذا الدين القيم، وعلى ما أنعم به عليكم من هدايتكم له وقد ضل عنه كثير من الناس، واسألوه أن يثبتكم عليه إلى الممات.

اللهم إنا نسألك بأننا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، يا ذا الجلال والإكرام يا منان يا بديع السماوات والأرض، يا حي يا قيوم، نسألك أن توفقنا لما تحب وترضى، وأن تجعلنا ممن رضي بك ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، ونسألك أن تثبتنا على ذلك إلى الممات، وأن تغفر لنا الخطايا والسيئات، وأن تهب لنا منك رحمة إنك أنت الوهاب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

المجلس السابع

في طائفة من أقسام الناس في الصيام

الحمد لله المتعالى عن الأنداد، المقدّس عن النقائص والأضداد، المنتزّه عن الصحابة والأولاد، رافع السبع الشداد، عالية بغير عماد، وواضع الأرض للمهاد، مُتَبَّئَة بالراسيات الأطواد، المطّلع على سر القلوب ومكنون الفؤاد، مقدّر ما كان وما يكون من الضلال والرشاد، في بحار لطفه تجري مراكب العباد، وفي ميدان حبه تجول خيل الزهّاد، وعنده مبتغى الطالبين ومنتهى القصّاد، وبعينه ما يتحمل المتحملون من أجله في الاجتهاد، يرى ديبب النمل الأسود في السواد، ويعلم ما توسوس به النفس في باطن الاعتقاد، جاد على السائلين فزادهم من الزاد، وأعطى الكثير للعاملين المخلصين في المراد، أحمده حمدا يفوق على الأعداد، وأشكره على نعمه وكلما شكّر زاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الرحيم بالعباد، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله المبعوث إلى جميع الخلق في كل البلاد، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الذي بذل من نفسه وماله وجاهه، وعلى عمر الذي بالغ في نصر الإسلام وأجاد، وعلى عثمان الذي جهّز جيش العُسرة فبها فخره يوم يقوم الأشهاد، وعلى علي المعروف بالشجاعة والجلاد، وعلى جميع الآل والأصحاب والتابعين لهم بإحسان إلى يوم التناد، وسلم تسليمًا.

إخواني: قدمنا الكلام عن خمسة أقسام من الناس في أحكام الصيام، وتتكلم في هذا المجلس عن طائفة أخرى من تلك الأقسام:

* فالقسم السادس: المسافر إذا لم يقصد بسفره التَّحِيلَ على الفطر، فإن قصد ذلك فالفطر عليه حرام والصيام واجب عليه حينئذ، فإذا لم يقصد التحيل فهو مخير بين الصيام والفطر سواء طال مدة سفره أم قصرت، وسواء كان سفره طارئا لغرض أم مستمرا كسائقي الطائرات وسيارات الأجرة لعموم قوله تعالى: ﴿فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

كنا نساfer مع النبي ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم^(١) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن، ويرون أن من وجد ضعفا فأفطر فإن ذلك حسن^(٢) «وعن حمزة بن عمرو الأسلمي أنه قال: يا رسول الله إني صاحب ظهر أعالجه أسافر عليه وأكرهه، وإنه ربما صادفني هذا الشهر يعني رمضان وأنا أجد القوة وأنا شاب فأجد بأن الصوم يا رسول الله أهون علي من أن أؤخره فيكون ديننا علي، أفأصوم يا رسول الله أعظم لأجري أم أفطر؟ قال: أي ذلك شئت يا حمزة»^(٣) (٤).

فإذا كان صاحب سيارة الأجرة يشق عليه الصوم في رمضان في السفر من أجل الحر مثلا فإنه يؤخره إلى وقت يبرد فيه الجو ويتيسر فيه الصيام عليه، والأفضل للمسافر فعل الأسهل عليه من الصيام والفطر، فإن تساويا فالصوم أفضل لأنه أسرع في إبراء ذمته وأنشط له إذا صام مع الناس، ولأنه فعل النبي ﷺ كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في رمضان في حر شديد، حتى أن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة»^(٥) (٦) وأفطر ﷺ مراعاة لأصحابه حين بلغه أنهم شق عليهم الصيام، فعن جابر رضي الله عنه «أن النبي ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس معه فقيل له: إن الناس قد شق عليهم الصيام، وإنهم ينظرون فيما فعلت، فدعا بقدر من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون إليه»^(٧) (١) وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أن النبي ﷺ أتى على

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) أبو داود الصوم (٢٤٠٣).

(٤) رواه أبو داود وفي إسناده ضعف وله شواهد، وأصله في صحيح مسلم عن حمزة أنه قال: يا رسول الله أجد بي قوة على الصيام في السفر فهل علي جناح؟ فقال النبي " هي رخصة من الله من أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه ".

(٥) البخاري الصوم (١٨٤٣)، مسلم الصيام (١١٢٢)، أبو داود الصوم (٢٤٠٩)، ابن ماجه الصيام (١٦٦٣)، أحمد (١٩٤/٥).

(٦) رواه مسلم.

(٧) مسلم الصيام (١١١٤)، الترمذي الصوم (٧١٠)، النسائي الصيام (٢٢٦٣).

نهر من السماء والناس صيام في يوم صائف مشاة، ورسول الله ﷺ على بغلة له، فقال: " اشربوا أيها الناس " فأبوا، فقال: " إني لست مثلكم، إني أيسركم، إني ركب، فأبوا، فثنى رسول الله ﷺ فخذه فنزل فشرب وشرب الناس، وما كان يريد أن يشرب ﷺ » (٢) (٣).

وإذا كان المسافر يشق عليه الصوم فإنه يفطر ولا يصوم في السفر، ففي حديث جابر السابق أن النبي ﷺ لما أفطر حين شق الصوم على الناس قيل له: إن بعض الناس قد صام، فقال النبي ﷺ «أولئك العصاة، أولئك العصاة» (٤) (٥).

وعن جابر أيضا «أن النبي ﷺ كان في سفر، فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه، فقال: " ما هذا؟ " قالوا: صائم. فقال: " ليس من البر الصيام في السفر » (٦) (٧) وإذا سافر الصائم في أثناء اليوم وشق عليه إكمال صومه جاز له الفطر إذا خرج من بلده؛ لأن النبي ﷺ صام وصام الناس معه حتى بلغ كراع الغميم، فلما بلغه أن الناس قد شق عليهم الصيام أفطر وأفطر الناس معه، وكراع الغميم جبل أسود في طرف الحرة يمتد إلى الوادي المسمى بالغميم بين عسفان ومرة الظهران.

وإذا قدم المسافر إلى بلده في نهار رمضان مفطرا لم يصح صومه ذلك اليوم؛ لأنه كان مفطرا في أول النهار، والصوم الواجب لا يصح إلا من طلوع الفجر، ولكن هل يلزمه الإمساك بقية اليوم؟ اختلف العلماء في ذلك فقال بعضهم: يجب عليه أن يمسك بقية اليوم احتراما للزمن، ويجب عليه القضاء أيضا لعدم صحة صوم ذلك اليوم، وهذا المشهور من مذهب أحمد رحمته، وقال بعض العلماء: لا يجب عليه أن يمسك بقية ذلك اليوم؛ لأنه لا يستفيد من هذا الإمساك

(١) رواه مسلم.

(٢) أحمد (٤٦/٣).

(٣) رواه أحمد وسنده جيد قاله في الفتح الرباني.

(٤) مسلم الصيام (١١١٤)، الترمذي الصوم (٧١٠)، النسائي الصيام (٢٢٦٣).

(٥) رواه مسلم.

(٦) البخاري الصوم (١٨٤٤)، مسلم الصيام (١١١٥)، النسائي الصيام (٢٢٦٢)، أبو داود الصوم (٢٤٠٧)،

أحمد (٢٩٩/٣)، الدارمي الصوم (١٧٠٩).

(٧) متفق عليه.

شيئا لوجوب القضاء عليه، وحرمة الزمن قد زالت بفطره المباح له أول النهار ظاهرا وباطنا، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أكل أول النهار فليأكل آخره، أي: من حل له الأكل أول النهار بعذر حل له الأكل آخره، وهذا مذهب مالك والشافعي ورواية عن الإمام أحمد، ولكن لا يُعلن أكله ولا شربه لخفاء سبب الفطر فيساء به الظن أو يُقتدى به.

* القسم السابع: المريض الذي يرجى براء مرضه وله ثلاث حالات:

* إحداها: أن لا يشق عليه الصوم ولا يضره، فيجب عليه الصوم لأنه ليس له عذر يبيح الفطر.

* الثانية: أن يشق عليه الصوم ولا يضره فيفطر لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويُكره له الصوم مع المشقة لأنه خروج عن رخصة الله تعالى وتعذيب لنفسه، وفي الحديث: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته»^{(١) (٢)}

* الحال الثالثة: أن يضره الصوم فيجب عليه الفطر ولا يجوز له الصوم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لنفسك عليك حقا»^{(٣) (٤)} ومن حقاها أن لا تضرها مع وجود رخصة الله سبحانه، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»^{(٥) (٦)}.

وإذا حدث له المرض في أثناء رمضان وهو صائم وشق عليه إتمامه جاز له الفطر لوجود المبيح للفطر، وإذا برئ في نهار رمضان وهو مفطر لم يصح أن يصوم ذلك اليوم لأنه كان مفطرا في أول النهار، والصوم لا يصح إلا من طلوع الفجر، ولكن هل يلزمه أن يمسك بقية يومه؟ فيه خلاف بين العلماء سبق ذكره في المسافر إذا قدم مفطرا.

(١) أحمد (١٠٨/٢).

(٢) رواه أحمد وابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما وفي سنده شيء من الاضطراب لكن له شواهد من الحديث وأصول الشريعة.

(٣) البخاري الصوم (١٨٦٧)، الترمذي الزهد (٢٤١٣).

(٤) رواه البخاري.

(٥) ابن ماجه الأحكام (٢٣٤٠)، أحمد (٣٢٧/٥).

(٦) أخرجه ابن ماجه والحاكم، قال النووي: وله طرق يقوي بعضها بعضها.

وإذا ثبت بالطب أن الصوم يجلب المرض أو يؤخر براءه جاز له الفطر محافظة على صحته واتقاء للمرض، فإن كان يُرجى زوال هذا الخطر انتظر حتى يزول ثم يقضي ما أفطر، وإن كان لا يرجى زواله فحكمه حكم القسم الخامس، يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً.

اللهم وفقنا للعمل بما يرضيك، وجنبنا أسباب سخطك ومعاصيك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الثامن

في بقية أقسام الناس في الصيام وأحكام القضاء

الحمد لله الواحد العظيم الجبار، القدير القوي القهار، المتعالي عن أن تدركه الخواطر والأبصار، وسم كل مخلوق بسمة الافتقار، وأظهر آثار قدرته بتصرف الليل والنهار، يسمع أنين المدنف يشكو ما به من الأضرار، ويبصر ديبب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الغار، ويعلم خفي الضمائر ومكنون الأسرار، صفاته كذاته والمشبهة كفار، نُقِرُّ بما وصف به نفسه على ما جاء في القرآن والأخبار: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]. أحمده سبحانه على المسارِّ والمضارِّ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتفرد بالخلق والتدبير ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله أفضل الأنبياء الأطهار، صَلَّى اللهُ عليه وعلى أبي بكر رفيقه في الغار، وعلى عمر قامع الكفار، وعلى عثمان شهيد الدار، وعلى علي القائم بالأسحار، وعلى آله وأصحابه خصوصاً المهاجرين والأنصار، وسلم تسليماً.

إخواني: قدمنا الكلام عن سبعة أقسام من أقسام الناس في الصيام وهذه بقية الأقسام:

* القسم الثامن: الحائض فيحرم عليها الصيام ولا يصح منها لقول النبي ﷺ في النساء: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبَّ الرجل الحازم من إحداهن». قلن: وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى. قال: «فذلك نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تصم؟ قلن: بلى. قال: «فذلك من نقصان دينها»^(١) (٢).

والحيض دم طبيعي يعتاد المرأة في أيام معلومة.

وإذا ظهر الحيض منها وهي صائمة ولو قبل الغروب بلحظة بطل صوم يومها ولزمها قضاؤه

(١) البخاري الحيض (٢٩٨)، مسلم الإيمان (٨٠).

(٢) متفق عليه.

إلا أن يكون صومها تطوعاً فقضاؤه تطوع لا واجب.

وإذا طهرت من الحيض في أثناء نهار رمضان لم يصح صومها بقية اليوم لوجود ما ينافي الصيام في حقها في أول النهار، وهل يلزمها الإمساك بقية اليوم؟ فيه خلاف بين العلماء سبق ذكره في المسافر إذا قدم مفطراً.

وإذا طهرت في الليل في رمضان ولو قبل الفجر بلحظة وجب عليها الصوم؛ لأنها من أهل الصيام وليس فيها ما يمنعه فوجب عليها الصيام، ويصح صومها حيثنذ وإن لم تغتسل إلا بعد طلوع الفجر كالجنب إذا صام ولم يغتسل إلا بعد طلوع الفجر فإنه يصح صومه لقول عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يصبح جنباً من جماع غير احتلام ثم يصوم في رمضان»^(١) (٢).

والنفساء كالحائض في جميع ما تقدم.

ويجب عليهما القضاء بعدد الأيام التي فاتتهما لقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وسئلت عائشة رضي الله عنها: «ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة»^(٣) (٤).

* القسم التاسع: المرأة إذا كانت مُرضعاً أو حاملاً وخافت على نفسها أو على الولد من الصوم فإنها تفطر لحديث أنس بن مالك الكعبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن المسافر والحامل والمرضع الصوم أو الصيام»^(٥) (٦) ويلزمها القضاء

(١) البخاري الصوم (١٨٢٥)، مسلم الصيام (١١٠٩)، أبو داود الصوم (٢٣٨٨)، ابن ماجه الصيام (١٧٠٤)، أحمد (٣٦/٦)، مالك الصيام (٦٤٢)، الدارمي الصوم (١٧٢٥).

(٢) متفق عليه.

(٣) مسلم الحيض (٣٣٥)، الترمذي الطهارة (١٣٠)، النسائي الصيام (٢٣١٨)، أبو داود الطهارة (٢٦٢)، ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٣١)، أحمد (٢٣٢/٦)، الدارمي الطهارة (٩٨٦).

(٤) رواه مسلم، وهو من أحاديث العمدة وعزاه في المنتقى للجماعة.

(٥) الترمذي الصوم (٧١٥)، النسائي الصيام (٢٢٧٥)، أبو داود الصوم (٢٤٠٨)، ابن ماجه الصيام (١٦٦٧)، أحمد (٣٤٧/٤)، الدارمي الصوم (١٧١٢).

(٦) أخرجه الخمسة وهذا لفظ ابن ماجه، وهو حسن.

بعدد الأيام التي أفطرت حين يتيسر لها ذلك ويزول عنها الخوف كالمريض إذا برأ.

* **القسم العاشر:** من احتاج للفطر لدفع ضرورة غيره كإنقاذ معصوم المعصوم: الآدمي المحرم قتله. من غرق أو حريق أو هدم أو نحو ذلك، فإذا كان لا يمكنه إنقاذه إلا بالتَّقْوِي عليه بالأكل والشرب جاز له الفطر، بل وجب الفطر حيثئذ لأن إنقاذ المعصوم من الهلكة واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ويلزمه قضاء ما أفطره.

ومثل ذلك من احتاج إلى المطر للتَّقْوِي به على الجهاد في سبيل الله في قتاله العدو فإنه يفطر ويقضي ما أفطر سواء كان ذلك في السفر أم في بلده إذا حضره العدو؛ لأن في ذلك دفاعاً عن المسلمين وإعلاء لكلمة الله ﷻ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام فنزل منزلاً فقال رسول الله ﷺ: "إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم"، فكانت رخصة فمئناً من صام ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر فقال رسول الله ﷺ: "إنكم مُصَبَّحُو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا"، وكانت عزمة فأفطرننا»^(١) ^(٢). ففي هذا الحديث إيماء إلى أن القوة على القتال سبب مستقل غير السفر؛ لأن النبي ﷺ جعل علة الأمر بالفطر القوة على قتال العدو دون السفر، ولذلك لم يأمرهم بالفطر في المنزل الأول.

وكل من جاز له الفطر بسبب مما تقدم فإنه لا يُنكر عليه إعلان فطره إذا كان سببه ظاهراً كالمريض والكبير الذي لا يستطع الصوم، وأما إن كان سبب فطره خفياً كالحائض ومن أنقذ معصوماً من هلكة فإنه يفطر سرا ولا يعلن فطره لئلا يجزى التهمة إلى نفسه، ولئلا يغتر به الجاهل فيظن أن الفطر جائز بدون عذر.

وكل من لزمه القضاء من الأقسام السابقة فإنه يقضي بعدد الأيام التي أفطر لقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فإن أفطر جميع الشهر لزمه جميع أيامه، فإن كان الشهر ثلاثين يوماً لزمه ثلاثون يوماً، وإن كان تسعة وعشرين يوماً لزمه تسعة وعشرون يوماً فقط. والأولى المبادرة بالقضاء من حين زوال العذر لأنه أسبق إلى الخير وأسرع في إبراء الذمة.

(١) مسلم الصيام (١١٢٠)، أبو داود الصوم (٢٤٠٦).

(٢) رواه مسلم.

ويجوز تأخيره إلى أن يكون بينه وبين رمضان الثاني بعدد الأيام التي عليه لقوله تعالى: ﴿سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ومن تمام اليسر جواز تأخير قضائها، فإذا كان عليه عشرة أيام من رمضان جاز تأخيرها إلى أن يكون بينه وبين رمضان الثاني عشرة أيام.

ولا يجوز تأخير القضاء إلى رمضان الثاني بدون عذر لقول عائشة رضي الله عنها: كان يكون علي الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان^(١). ولأن تأخيره إلى رمضان الثاني يوجب أن يتراكم عليه الصوم، وربما يعجز عنه أو يموت، ولأن الصوم عبادة متكررة فلم يجز تأخير الأولى إلى وقت الثانية كالصلاة، فإن استمر به العذر حتى مات فلا شيء عليه لأن الله سبحانه أوجب عليه عدة من أيام أخر، ولم يتمكن منها فسقطت عنه، كمن مات قبل دخول شهر رمضان لا يلزمه صومه، فإن تمكن من القضاء ففرط فيه حتى مات صام وليه عنه جميع الأيام التي تمكن من قضائها، لقوله ﷺ «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»^{(٢) (٣)}.

ووليّه وارثه أو قريبه، ويجوز أن يصوم عنه جماعة بعدد الأيام التي عليه في يوم واحد، قال البخاري: قال الحسن: إن صام عنه ثلاثون رجلاً يوماً واحداً جاز، فإن لم يكن له ولي أو كان له ولي لا يريد الصوم عنه أُطعم من تركته عن كل يوم مسكيناً بعدد الأيام التي تمكن من قضائها، لكل مسكين مَدٌّ بُرٌّ وزنه بالبر الجيد نصف كيلو وعشرة غرامات.

إخواني: هذه أقسام الناس في أحكام الصيام شرع الله فيها لكل قسم ما يناسب الحال والمقام فاعرفوا حكمة ربكم في هذه الشريعة، واشكروا نعمته عليكم في تسهيله وتيسيره، وأسألوه الثبات على هذا الدين إلى الممات.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا حالت بيننا وبين ذكرك، واعف عن تقصيرنا في طاعتك وشكرك، وأدم علينا لزوم الطريق إليك، وهب لنا نورا نتهدي به إليك، اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك، واسلك بنا

(١) رواه البخاري.

(٢) البخاري الصوم (١٨٥١)، مسلم الصيام (١١٤٧)، أبو داود الصوم (٢٤٠٠)، أحمد (٦٩/٦).

(٣) متفق عليه.

سبيل أهل مرضاتك، اللهم أنقذنا من دركاتنا، وأيقظنا من غفلاتنا، وألهمنا رشدنا، وأحسن بكرمك قصدنا، اللهم احشرونا في زمرة المتقين، وألحقنا بعبادك الصالحين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المجلس التاسع في حكم الصيام

الحمد لله مدبر الليالي والأيام، ومصرّف الشهور والأعوام، الملك القدوس السلام، المتفرد بالعظمة والبقاء والدوام، المُتَنَزِّه عن النقائص ومشابهة الأنام، يرى ما في داخل العروق وبواطن العظام، ويسمع خفي الصوت ولطيف الكلام، إله رحيم كثير الإنعام، ورب قدير شديد الانتقام، قدّر الأمور فأجراها على أحسن نظام، وشرّع الشرائع فأحكمها أيما إحكام، بقدرته تهب الرياح ويسير الغمام، وبحكمته ورحمته تتعاقب الليالي والأيام، أحمده على جليل الصفات وجميل الإنعام، وأشكره شكر من طلب المزيد ورام، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا تحيط به العقول والأوهام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الأنام، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر السابق إلى الإسلام، وعلى عمر الذي إذا رآه الشيطان هام، وعلى عثمان الذي جهز بماله جيش العسرة وأقام، وعلى علي البحر الخضم والأسد الضرغام، وعلى سائر آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان على الدوام، وسلم تسليمًا.

عباد الله: اعلموا رحمكم الله أن الله سبحانه له الحكم التام والحكمة البالغة فيما خلّقه وفيما شرّعه، فهو الحكيم في خلّقه وفي شرّعه، لم يخلق عباده لعباء، ولم يتركهم سُدىً، ولم يُشرّع لهم الشرائع عبثًا، بل خلقهم لأمر عظيم، وهيأهم لخطب جسيم، وبَيَّن لهم الصراط المستقيم، وشرع لهم الشرائع يزداد بها إيمانهم، وتكمل بها عبادتهم، فما من عبادة شرعها الله لعباده إلا لحكمة بالغة، عَلِمَهَا مَنْ عَلِمَهَا وَجَهِلَهَا مَنْ جَهِلَهَا، وليس جهلنا بحكمة شيء من العبادات دليلًا على أنه لا حكمة لها، بل هو دليل على عجزنا وقصورنا عن إدراك حكمة الله سبحانه ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقد شرع الله العبادات ونظّم المعاملات ابتلاءً وامتحانًا لعباده ليتبين بذلك من كان عابداً لمولاه ممن كان عابداً لهواه، فمن تقبّل هذه الشرائع وتلك النظم بصدر منشرح ونفس مطمئنة

فهو عابد لمولاه، راض بشريعته مقدّم لطاعة ربه على هوى نفسه، ومن كان لا يقبل من العبادات، ولا يتبع من النظم إلا ما ناسب رغبته، ووافق مراده فهو عابد لهواه، ساخط لشريعة الله، معرض عن طاعة ربه، جعل هواه متبوعا لا تابعا، وأراد أن يكون شرع الله تابعا لرغبته مع قصور علمه وقلة حكمته: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون: ٧١].

ومن حكمة الله سبحانه أن جعل العبادات متنوعة ليتحمص القبول والرضا ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ١٤١]، فإن من الناس من قد يرضى بنوع من العبادات ويلتزم به، ويسخط نوعا آخر ويفرط فيه، فجعل الله من العبادات ما يتعلق بعمل البدن كالصلاة، ومنها ما يتعلق ببذل المال المحبوب إلى النفس كالزكاة، ومنها ما يتعلق بعمل البدن وبذل المال جميعا كالحج والجهاد، ومنها ما يتعلق بكف النفس عن محبوباتها ومشتتهياتها كالصيام، فإذا قام العبد بهذه العبادات المتنوعة وأكملها على الوجه المطلوب منه دون سخط أو تفریط فتعب وعمل وبذل ما كان محبوبا إليه وكف عما تشتهيه نفسه طاعة لربه وامتنالا لأمره ورضا بشرعه كان ذلك دليلا على كمال عبوديته وتما انقياده ومحبته لربه وتعظيمه له، فتحقق فيه وصف العبودية لله رب العالمين.

إذا تبين ذلك فإن للصيام حكما كثيرة استوجبت أن يكون فريضة من فرائض الإسلام وركنا من أركانه.

فمن حَكَم الصيام: أنه عبادة لله تعالى يتقرب العبد فيها إلى ربه بترك محبوباته ومشتتهيات من طعام وشراب ونكاح، فيظهر بذلك صدق إيمانه وكمال عبوديته لله وقوة محبته له ورجائه ما عنده، فإن الإنسان لا يترك محبوبا له إلا لما هو أعظم عنده منه، ولما علم المؤمن أن رضا الله في الصيام بترك شهواته المحبوبة على محبتها قدّم رضا مولاه على هواه فتركها أشد ما يكون شوقا إليها؛ لأن لذته وراحة نفسه في ترك ذلك لله ﷻ ولذلك كان كثير من المؤمنين لو ضرب أو حُيس على أن يفطر يوما من رمضان بدون عذر لم يُفطر، وهذه الحكمة من أبلغ حكم الصيام وأعظمها.

ومن حَكَم الصيام: أنه سبب للتقوى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ

عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُنْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣]، فإن الصائم مأمور بفعل الطاعات واجتناب المعاصي كما قال النبي ﷺ «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(١) ^(٢). وإذا كان الصائم متلبسا بالصيام فإنه كلما همَّ بمعصية تذكر أنه صائم فامتنع عنها؛ ولهذا أمر النبي ﷺ الصائم أن يقول لمن ساءه أو شاتمته: «إني امرؤ صائم»^(٣)، تنبيهها له على أن الصائم مأمور بالإمساك عن السب والشتم، وتذكيرا لنفسه بأنه متلبس بالصيام فيمتنع عن المقابلة بالسب والشتم.

* ومن حكم الصيام: أن القلب يتخلى للفكر والذكر، لأن تناول الشهوات يستوجب الغفلة، وربما يُقَسِّي القلب ويُعَمِّي عن الحق، ولذلك أرشد النبي ﷺ إلى التخفيف من الطعام والشراب، فقال ﷺ «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»^(٤) ^(٥) وفي الحديث «أن حنظلة الأسيدي - وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ - قال للنبي ﷺ نافق حنظلة. فقال رسول الله ﷺ " وما ذاك؟ " قال: يا رسول الله نكون عندك تَدَّغَرْنَا بالنار والجنة حتى كأننا رأيي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا»^(٦) ^(٧). وفيه: «ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»^(٨) ثلاث مرات، وقال أبو سليمان الداريني: إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا

(١) البخاري الأدب (٥٧١٠)، الترمذي الصوم (٧٠٧)، أبو داود الصوم (٢٣٦٢)، ابن ماجه الصوم (١٦٨٩)، أحمد (٥٠٥/٢).

(٢) رواه البخاري.

(٣) البخاري الصوم (١٨٠٥)، مسلم الصيام (١١٥١)، الترمذي الصوم (٧٦٤)، النسائي الصيام (٢٢١٧)، أبو داود الصوم (٢٣٦٣)، ابن ماجه الصيام (١٦٩١)، أحمد (٢٧٣/٢)، مالك الصيام (٦٨٩).

(٤) الترمذي الزهد (٢٣٨٠)، أحمد (١٣٢/٤).

(٥) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وصححه أيضا الحاكم.

(٦) مسلم التوبة (٢٧٥٠)، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٤)، ابن ماجه الزهد (٤٢٣٩)، أحمد (٣٤٦/٤).

(٧) رواه مسلم.

(٨) مسلم التوبة (٢٧٥٠)، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٤)، ابن ماجه الزهد (٤٢٣٩)، أحمد

القلب ورق، وإذا شبعَت عَمِيَ القلب.

* ومن حكم الصيام: أن الغني يعرف به قدر نعمة الله عليه بالغنى حيث أنعم الله تعالى عليه بالطعام والشراب والنكاح، وقد حُرِّمَها كثير من الخلق فيحمد الله على هذه النعمة ويشكره على هذا التيسير، ويذكر بذلك أخاه الفقير الذي ربما يبيت طاويا جائعا فيجود عليه بالصدقة يكسو بها عورته ويسد بها جوعته، ولذلك «كان النبي ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيُدارسه القرآن»^(١).

ومن حكم الصيام: التَّمَرُّنُ على ضبط النفس، والسيطرة عليها، والقوة على الإمساك بزمامها حتى يتمكن من التحكم فيها ويقودها إلى ما فيه خيرها وسعادتها، فإن النفس أمانة بالسوء إلا ما رحم ربي، فإذا أطلق المرء لنفسه عنانها أوقعته في المهالك، وإذا ملك أمرها وسيطر عليها تمكن من قيادتها إلى أعلى المراتب وأسنى المطالب.

* ومن حكم الصيام: كسر النفس والحد من كبريائها حتى تخضع للحق وتلين للخلق، فإن الشبع والري ومباشرة النساء يحمل كل منها على الأشر والبطر والعلو والتكبر على الخلق وعن الحق، وذلك أن النفس عند احتياجها لهذه الأمور تشتغل بتحصيلها، فإذا تمكَّنت منها رأت أنها ظفرت بمطلوبها فيحصل لها من الفرح المذموم والبطر ما يكون سببا لهلاكها، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

* ومن حكم الصيام: أن مجاري الدم تضيق بسبب الجوع والعطش فتضيق مجاري الشيطان من البدن فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن رسول الله ﷺ فتسكن بالصيام وساوس الشيطان، وتنكسر سَوْرَةُ الشهوة والغضب، ولذلك قال النبي ﷺ «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(٢)، فجعل الصوم وجاء لشهوة النكاح وكسرا لحدتها.

(٤/٣٤٦).

(١) البخاري بدء الخلق (٣٠٤٨)، مسلم الفضائل (٢٣٠٨)، النسائي الصيام (٢٠٩٥)، أحمد (٣٦٣/١).

(٢) البخاري النكاح (٤٧٧٩)، مسلم النكاح (١٤٠٠)، الترمذي النكاح (١٠٨١)، النسائي الصيام

(٢٢٤٠)، أبو داود النكاح (٢٠٤٦)، ابن ماجه النكاح (١٨٤٥)، أحمد (٣٧٨/١)، الدارمي النكاح

* ومن حكم الصيام: ما يترتب عليه من الفوائد الصحية التي تحصل بتقليل الطعام وإراحة جهاز الهضم لمدة معينة ومنع ترسب بعض الرطوبات والفضلات الضارة بالجسم وغير ذلك. فما أعظم حكمة الله وأبلغها وما أنفع شرائعه للخلق وأصلحها.

اللهم فَفِّهْنَا فِي دِينِكَ، وَأَهْمْنَا مَعْرِفَةَ أَسْرَارِ شَرِيعَتِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شُؤُونَ دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

المجلس العاشر

في آداب الصيام الواجبة

الحمد لله الذي أرشد الخلق إلى أكمل الآداب، وفتح لهم من خزائن رحمته وجوده كل باب، أنار بصائر المؤمنين فأدركوا الحقائق وطلبوا الثواب، وأعمى بصائر المعرضين عن طاعته فصار بينهم وبين نوره حجاب.

هدى أولئك بفضلِهِ ورحمته وأضل الآخرين بعدله وحكمته، إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العزيز الوهاب، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث بأجلِّ العبادات وأكمل الآداب، صلى الله عليه وعلى جميع الآل والأصحاب، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم المآب، وسلم تسليمًا.

إخواني: اعلّموا أن للصيام آدابًا كثيرة لا يتم إلا بها ولا يكمل إلا بالقيام بها، وهي على قسمين: آداب واجبة لا بد للصائم من مراعاتها والمحافظة عليها، وآداب مستحبة ينبغي أن يراعيها ويحافظ عليها.

فمن الآداب الواجبة أن يقوم الصائم بما أوجب الله عليه من العبادات القولية والفعلية، ومن أهمها الصلاة المفروضة التي هي أكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، فتجب مراعاتها بالمحافظة عليها والقيام بأركانها وواجباتها وشروطها، فيؤديها في وقتها مع الجماعة في المساجد، فإن ذلك من التقوى التي من أجلها شُرِعَ الصيام وفُرض على الأمة، وإضاعة الصلاة مُنافٍ للتقوى وموجب للعقوبة، قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ۝٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝٧٠﴾ [مريم: ٥٩-٦٠].

ومن الصائمين من يتهاون بصلاة الجماعة مع وجوبها عليه، وقد أمر الله بها في كتابه فقال: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا

سَجَدُوا» [النساء: ١٠٢] (يعني أتموا صلاتهم) ﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

فأمر الله بالصلاة مع الجماعة في حال القتال والخوف، ففي حال الطمأنينة والأمن أوّلَى، وعن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رجلاً أعمى قال: يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فرخص له، فلما ولىّ دعاه وقال: "هل تسمع النداء بالصلاة؟" قال: نعم. قال: "فأجب"»^(١) (٢) فلم يُرَخِّص له النبي صلى الله عليه وسلم في ترك الجماعة مع أنه رجل أعمى وليس له قائد، وتارك الجماعة مع إضاعته الواجب قد حرم نفسه خيراً كثيراً من مضاعفة الحسنات، فإن صلاة الجماعة مضاعفة، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة»^(٣) (٤). وفوت المصالح الاجتماعية التي تحصل للمسلمين باجتماعهم على الصلاة من غرس المحبة والألفة وتعليم الجاهل ومساعدة المحتاج وغير ذلك.

وبترك الجماعة يعرض نفسه للعقوبة ومشاهدة المنافقين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أثقل الصلوات على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حُبوا، وقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حِزَمٌ من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»^(٥) (٦).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من سره أن يلقي الله غدا مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهن، فإن الله شرع لنببيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، قال: ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في

(١) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٣)، النسائي الإمامة (٨٥٠).

(٢) رواه مسلم.

(٣) البخاري الأذان (٦١٩)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٠)، الترمذي الصلاة (٢١٥)، النسائي الإمامة (٨٣٧)، ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٨٩)، أحمد (٦٥/٢)، مالك النداء للصلاة (٢٩٠).

(٤) متفق عليه.

(٥) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٥١).

(٦) متفق عليه.

الصف (١).

ومن الصائمين من يتجاوز بالأمر فينام عن الصلاة في وقتها، وهذا من أعظم المنكرات وأشد الإضاعة للصلوات حتى قال كثير من العلماء: إن من أخر الصلاة عن وقتها بدون عذر شرعي لم يقبل وإن صلى مرة مائة لقول النبي ﷺ «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (٢) (٣).
والصلاة بعد وقتها ليس عليها أمر النبي ﷺ فتكون مردودة غير مقبولة.

* ومن الآداب الواجبة: أن يجتنب الصائم جميع ما حرم الله ورسوله من الأقوال والأفعال، فيجتنب الكذب وهو الإخبار بخلاف الواقع، وأعظمه الكذب على الله ورسوله، كأن ينسب إلى الله أو إلى رسوله تحليل حرام أو تحريم حلال، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَفَتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١٦٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

وعن أبي هريرة وغيره أن النبي ﷺ قال: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» (٤).
(٥). وحذر النبي ﷺ من الكذب فقال: «إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكْتَبَ عند الله كذاباً» (٦) (٧).

* ويجتنب الغيبة، وهي ذكرك أحاك بما يكره في غيبته، سواء ذكرته بما يكره في خلقته كالأعرج

(١) رواه مسلم.

(٢) البخاري الصلح (٢٥٥٠)، مسلم الأفضية (١٧١٨)، أبو داود السنة (٤٦٠٦)، ابن ماجه المقدمة (١٤)، أحمد (٢٥٦/٦).

(٣) رواه مسلم.

(٤) البخاري العلم (١١٠)، مسلم مقدمة (٣)، أحمد (٤١٠/٢).

(٥) متفق عليه.

(٦) البخاري الأدب (٥٧٤٣)، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٠٧)، الترمذي البر والصلة (١٩٧١)، أبو داود الأدب (٤٩٨٩)، ابن ماجه المقدمة (٤٦)، أحمد (٤٣٢/١)، الدارمي الرقاق (٢٧١٥).

(٧) متفق عليه.

والأعور والأعمى على سبيل العيب والذم، أو بما يكره في خُلُقِه كالأحمق والسفيه والفاسق ونحوه، وسواء كان فيه ما تقول أم لم يكن؛ لأن «النبي ﷺ سئل عن الغيبة فقال: "هي ذكرك أخاك بما يكره" قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته»^(١) ^(٢). ولقد نهي الله عن الغيبة في القرآن وشبَّهَهَا بأبشع صورة، شبَّهَهَا بالرجل يأكل لحم أخيه ميتا فقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، «وأخبر النبي ﷺ أنه مر ليلة المعراج بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال: "من هؤلاء يا جبريل؟" قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»^(٣) رواه أبو داود.

* ويجتنب النميمة، وهي نقل كلام شخص في شخص إليه ليُفسد بينهما، وهي من كبائر الذنوب، قال فيها رسول ﷺ «لا يدخل الجنة نام»^(٤) ^(٥) وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير (أي: في أمر شاق عليهما) أما أحدهما فكان لا يستتره من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»^(٦) ^(٧) والنميمة فساد للفرد والمجتمع وتفريق بين المسلمين، وإلقاء للعداوة بينهم ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٧﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١٨﴾﴾ [القلم: ١٠-١١]، فمن تمَّ إليك تمَّ فيك فاحذره.

* ويجتنب الغش في جميع المعاملات من بيع وإجارة وصناعة ورهن وغيرها، وفي جميع

(١) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٩)، الترمذي البر والصلة (١٩٣٤)، أبو داود الأدب (٤٨٧٤)، أحمد (٤٥٨/٢)، الدارمي الرقاق (٢٧١٤).

(٢) رواه مسلم.

(٣) أبو داود الأدب (٤٨٧٨).

(٤) البخاري الأدب (٥٧٠٩)، مسلم الإيمان (١٠٥)، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٦)، أبو داود الأدب (٤٨٧١)، أحمد (٣٩١/٥).

(٥) متفق عليه.

(٦) البخاري الوضوء (٢١٥)، مسلم الطهارة (٢٩٢)، الترمذي الطهارة (٧٠)، النسائي الجنائز (٢٠٦٨)، أبو داود الطهارة (٢٠)، ابن ماجه الطهارة وسننها (٣٤٧)، أحمد (٢٢٥/١)، الدارمي الطهارة (٧٣٩).

(٧) متفق عليه.

المناصحات والمشورات؛ فإن الغش من كبائر الذنوب، وقد تبرأ النبي ﷺ من فاعله فقال ﷺ «من غشنا فليس منا»^(١)، وفي لفظ: «من غش فليس مني»^(٢) ^(٣) والغش: خديعة وخيانة وضياح للأمانة وفقد للثقة بين الناس، وكل كسب من الغش فإنه كسب خبيث حرام لا يزيد صاحبه إلا بعدا من الله.

* ويجنب المعازف وهي آلات اللهو بجميع أنواعها كالعود والربابة والقانون والكمنجة والبيانو والكمان وغيرها؛ فإن هذه حرام وتزداد تحريماً وإثماً إذا اقترنت بالغناء بأصوات جميلة وأغاني مثيرة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦]، صح عن ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية فقال: والله الذي لا إله غيره هو الغناء، وضح أيضاً عن ابن عباس وابن عمر، وذكره ابن كثير عن جابر وعكرمة وسعيد بن جبّير ومجاهد، وقال الحسن: نزلت هذه الآية في الغناء والمزامير، وقد حذر النبي ﷺ من المعازف وقَرَنَهَا بالزنا فقال ﷺ «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِر والحري والحمر والمعازف»^(٤) ^(٥).

فالحر: الفرج والمراد به الزنا، ومعنى يستحلون أي: يفعلونها فعل المستحل لها بدون مبالاة، وقد وقع هذا في زمننا فكان من الناس من يستعمل هذه المعازف أو يستمعها كأنها شيء حلال، وهذا مما نجح فيه أعداء الإسلام بكيدهم للمسلمين حتى صدّوهم عن ذكر الله ومهامّ دينهم وديناهم، وأصبح كثير منهم يستمعون إلى ذلك أكثر مما يستمعون إلى قراءة القرآن والأحاديث وكلام أهل العلم المتضمن لبيان أحكام الشريعة وحكمها، فاحذروا أيها المسلمون نواقض الصوم ونواقصه، وضؤنوه عن قول الزور والعمل به، قال ﷺ «من لم يدع قول الزور

(١) مسلم الإيمان (١٠١)، أحمد (٤١٧/٢).

(٢) مسلم الإيمان (١٠٢)، الترمذي البيوع (١٣١٥)، ابن ماجه التجارات (٢٢٢٤)، أحمد (٢٤٢/٢).

(٣) رواه مسلم.

(٤) أبو داود اللباس (٤٠٣٩).

(٥) رواه البخاري.

والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(١)، وقال جابر رضي الله عنه إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع عنك أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة، ولا يكن يوم صومك ويوم فطرك سواء.

اللهم احفظ علينا ديننا، وكف جوارحنا عما يغضبك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري الأدب (٥٧١٠)، الترمذي الصوم (٧٠٧)، أبو داود الصوم (٢٣٦٢)، ابن ماجه الصيام (١٦٨٩)، أحمد (٥٠٥/٢).

المجلس الحادي عشر في آداب الصيام المستحبة

الحمد لله مبلغ الراجي فوق مأموله، ومعطي السائل زيادة على مسؤوله، أحمدته على نيل الهدى وحصوله، وأقر بوجدانيته إقرار عارف بالدليل وأصوله، وأصلي وأسلم على نبينا محمد عبده ورسوله، وعلى صاحبه أبي بكر الملازم له في ترحاله وحلوله، وعلى عمر حامي الإسلام بعزم لا يخاف من فلوه، وعلى عثمان الصابر على البلاء حين نزوله، وعلى علي بن أبي طالب الذي أربح الأعداء بشجاعته قبل نصوله، وعلى جميع آله وأصحابه الذين حازوا قصب السبق في فروع الدين وأصوله، ما تردد النسيم بين جنوبه وشماله وغربه وقبوله.

إخواني: هذا المجلس في بيان القسم الثاني من آداب الصوم، وهي الآداب المستحبة، فمنها: السحور وهو الأكل في آخر الليل، سُمِّيَ بذلك لأنه يقع في السحر، فقد أمر النبي ﷺ به فقال: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً»^(١) ^(٢) وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر»^(٣) ^(٤) وأثنى ﷺ على سحور التمر فقال: «نَعَمْ سَحُورَ الْمُؤْمِنِ التَّمْرِ»^(٥) ^(٦) وقال ﷺ «السحور كله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم

(١) البخاري الصوم (١٨٢٣)، مسلم الصيام (١٠٩٥)، الترمذي الصوم (٧٠٨)، النسائي الصيام (٢١٤٦)، ابن ماجه الصيام (١٦٩٢)، أحمد (٩٩/٣)، الدارمي الصوم (١٦٩٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) مسلم الصيام (١٠٩٦)، الترمذي الصوم (٧٠٩)، النسائي الصيام (٢١٦٦)، أبو داود الصوم (٢٣٤٣)، أحمد (٢٠٢/٤)، الدارمي الصوم (١٦٩٧).

(٤) رواه مسلم.

(٥) أبو داود الصوم (٢٣٤٥).

(٦) رواه أبو داود وإسناده حسن وله شواهد يصل بها إلى درجة الصحة.

جرعة من ماء فإن الله وملائكته يُصَلُّون على المتسحرين» (١) (٢).

* وينبغي للمتسحر أن ينوي بسحوره امتثال أمر النبي ﷺ والاعتداء بفعله، ليكون سحوره عبادة، وأن ينوي به التَّقْوَى على الصيام ليكون له به أجر، والسنة تأخير السحور ما لم يُحْسَ طُلُوعَ الفجر؛ لأنه فعل النبي ﷺ فعن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ «أن نبي الله ﷺ وزيد بن ثابت تَسَحَّرَا، فلما فرغا من سحورهما قال نبي الله ﷺ " إلى الصلاة " فصلي، قلنا لأنس: كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما في الصلاة؟ قال: قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية» (٣) (٤) وعن عائشة رضي الله عنها أن بلالا كان يؤذن بليل فقال النبي ﷺ «كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر» (٥) (٦) وتأخير السحور أرفق بالصائم وأسلم من النوم عن صلاة الفجر، وللصائم أن يأكل ويشرب ولو بعد السحور ونية الصيام حتى يتيقن طلوع الفجر لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ويحكم بطلوع الفجر إما بمشاهدته في الأفق أو بخبر موثوق به بأذان أو غيره، فإذا طلع الفجر أمسك وينوي بقلبه ولا يتلفظ بالنية لأن التلفظ بها بدعة.

* ومن آداب الصيام المستحبة تعجيل الفطور إذا تحقق غروب الشمس بمشاهدتها أو غلب على ظنه الغروب بخبر موثوق به بأذان أو غيره، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عَجَّلُوا الفطر» (٧) (٨) وقال رضي الله عنه فيما يرويه عن ربه عز وجل «إن أحب عبادي

(١) أحمد (١٢/٣).

(٢) رواه أحمد، وقال المنذري: إسناده قوي، والجملة الأولى منه لها شاهد في الصحيحين.

(٣) البخاري مواقيت الصلاة (٥٥١)، النسائي الصيام (٢١٥٦)، أحمد (٢٣٥/٣).

(٤) رواه البخاري.

(٥) البخاري الصوم (١٨١٩)، مسلم الصيام (١٠٩٢)، الترمذي الصلاة (٢٠٣)، النسائي الأذان (٦٣٨)،

أحمد (٥٧/٢)، مالك النداء للصلاة (١٦٤)، الدارمي الصلاة (١١٩٠).

(٦) رواه البخاري.

(٧) البخاري الصوم (١٨٥٦)، مسلم الصيام (١٠٩٨)، الترمذي الصوم (٦٩٩)، ابن ماجه الصيام (١٦٩٧)،

أحمد (٣٣٧/٥)، مالك الصيام (٦٣٨)، الدارمي الصوم (١٦٩٩).

(٨) متفق عليه.

إلي أعجلهم فطرا»^{(١) (٢)} والسنة أن يفطر على رطب، فإن عُديم فتمر، فإن عدم فماء، لقول أنس رضي الله عنه «كان النبي ﷺ يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء»^{(٣) (٤)} فإن لم يجد رطبا ولا تمرا ولا ماء أفطر على ما تيسر من طعام أو شراب حلال، فإن لم يجد شيئا نوى الإفطار بقلبه، ولا يمض إصبعه أو يجمع ريقه ويبلعه كما يفعل بعض العوام.

* وينبغي أن يدعو عند فطره بما أحب، فعن النبي ﷺ أنه قال: «إن للصائم عند فطره دعوة ما تُردُّ»^{(٥) (٦)} وعن معاذ بن زهرة مرسلا مرفوعا: كان إذا أفطر يقول: «اللَّهُمَّ لك صمت وعلى رزقك أفطرت»^{(٧) (٨)} وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا أفطر يقول: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»^{(٩) (١٠)}.

* ومن آداب الصيام المستحبة كثرة القراءة والذكر والدعاء والصلاة والصدقة، قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتُفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصركن ولو بعد حين»^{(١١) (١٢)}

(١) الترمذي الصوم (٧٠٠)، أحمد (٣٢٩/٢).

(٢) رواه أحمد والترمذي، وإسناده ضعيف، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) الترمذي الصوم (٦٩٦)، أبو داود الصوم (٢٣٥٦)، أحمد (١٦٤/٣).

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وإسناده حسن جدا.

(٥) ابن ماجه الصيام (١٧٥٣).

(٦) رواه ابن ماجه، وقال في الزوائد: إسناده صحيح وضعفه بعضهم، وسبب اختلافهم في صحته اختلافهم في تعيين أحد رواته، لكن له شواهد في إجابة دعوة الصائم مطلقا فالحديث بذلك حسن.

(٧) أبو داود الصوم (٢٣٥٨).

(٨) رواه أبو داود، ومعاذ بن زهرة تابعي وثقة ابن حبان، فالحديث ضعيف لإرساله لكن له شاهد ربما يقوى به.

(٩) أبو داود الصوم (٢٣٥٧).

(١٠) رواه أبو داود وإسناده حسن.

(١١) الترمذي صفة الجنة (٢٥٢٥)، أحمد (٣٠٥/٢).

(١٢) رواه أحمد والترمذي وابن خزيمة وابن حبان، وفي الحديث ضعف ولبعضه شواهد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن»^(١) ^(٢) فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان جوده ﷺ يجمع أنواع الجود كلها من بذل العلم والنفس والمال لله ﻋﻠﻴﻚ في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من تعليم جاهلهم وقضاء حوائجهم وإطعام جائعهم، وكان جوده يتضاعف في رمضان لشرف وقته ومضاعفة أجره وإعانة العابدين فيه على عبادتهم، والجمع بين الصيام وإطعام الطعام وهما من أسباب دخول الجنة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أصبح منكم صائماً؟» فقال أبو بكر: أنا. قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا. قال النبي ﷺ ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»^(٣) ^(٤).

ومن آداب الصيام المستحبة: أن يستحضر الصائم قدر نعمة الله عليه بالصيام حيث وفقه له ويسره عليه حتى أتم يومه وأكمل شهره، فإن كثيراً من الناس حُرِّمُوا الصيام إما بموتهم قبل بلوغه أو بعجزهم عنه أو بضلالهم وإعراضهم عن القيام به، فليحمد الصائم ربه على نعمة الصيام التي هي سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات ورفع الدرجات في دار النعيم بجوار الرب الكريم.

إخواني: تَأَدَّبُوا بِآدَابِ الصَّيَامِ، وَتَخَلَّوْا عَنْ أَسْبَابِ الْغَضَبِ وَالْإِنْتِقَامِ، وَتَحَلَّوْا بِأَوْصَافِ السَّلَفِ الْكِرَامِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَصْلِحَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوْلَاهَا مِنَ الطَّاعَةِ وَاجْتِنَابِ الْآثَامِ.

قال ابن رجب رحمته الله: الصائمون على طبقتين:

* إحداهما: من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى يرجو عنده عوض ذلك في الجنة، فهذا قد تاجر مع الله وعامله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ولا يخيب معه من عامله، بل يربح أعظم الربح، قال رسول الله ﷺ لرجل: «إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله إلا آتاك الله خيراً منه»^(٥)

(١) البخاري بدء الوحي (٦)، مسلم الفضائل (٢٣٠٨)، النسائي الصيام (٢٠٩٥)، أحمد (٢٨٨/١).

(٢) متفق عليه.

(٣) مسلم الزكاة (١٠٢٨).

(٤) رواه مسلم.

(٥) أحمد (٧٩/٥).

(١) فهذا الصائم يُعْطَى في الجنة ما شاء الله من طعام وشراب ونساء، قال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا وَهْنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، قال مجاهد وغيره: نزلت في الصائمين، وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة الذي رآه النبي ﷺ في منامه قال: «ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما دنا من حوض مُنِعَ وطُردَ فجاءه صيام رمضان فسقاه وأرواه» (٢).

يا قوم ألا خاطبُ في هذا الشهر إلى الرحمن؟ ألا راغب فيما أعدَّ الله للطائعين في الجنان؟

مَنْ يُرِدْ مِثْلَكَ الْجَنَانِ فَلْيَدْعُ عَنْهُ التَّوَانِي
وَلْيَقُمْ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِي إِلَى نُورِ الْقُرْآنِ
وَلْيَصِلْ صَوْمًا بِصَوْمٍ إِنَّ هَذَا الْعَيْشَ فَانَ
إِنَّمَا الْعَيْشُ جَوَارِ الْ لَهَّ فِي دَارِ الْأَمَانِ

* الطبقة الثانية من الصائمين: من يصوم في الدنيا عما سوى الله فيحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته.

من صام بأمر الله عن شهواته في الدنيا أدركها غدا في الجنة، ومن صام عما سوى الله فعنده يوم لقائه ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥].
يا معشر التائبين صوموا اليوم عن شهوات الهوى لتدركوا عيد الفطر يوم اللقاء.

اللهم جَمِّلْ بواطننا بالإخلاص لك، وَحَسِّنْ أعمالنا باتباع رسولك والتأدب بآدابه، اللهم أيقظنا من الغفلات، وَنَجِّنَا من الدركات، وكفر عنا الذنوب والسيئات، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والأموات، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) أخرجه الإمام أحمد وهو صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني وهو ضعيف الإسناد، لكن قال ابن القيم بعد أن ساقه بتمامه في المسألة العاشرة من كتاب (الروح): سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يعظم أمر هذا الحديث وقال - يعني شيخ الإسلام -: أصول السنة تشهد له وهو من أحسن الأحاديث اهـ.

المجلس الثاني عشر

في النوع الثاني من تلاوة القرآن

الحمد لله معطي الجزيل لمن أطاعه ورجاه، وشديد العقاب لمن أعرض عن ذكره وعصاه، اجتبي من شاء بفضله فقربه وأدناه، وأبعد من شاء بعدله فولاه ما تولاه، أنزل القرآن رحمة للعالمين ومنارا للسالكين، فمن تمسك به نال مناه، ومن تعدى حدوده وأضاع حقوقه خسر دينه وديناه، أحمده على ما تفضل به من الإحسان وأعطاه، وأشكره على نعمه الدينية والدينية وما أجدر الشاكر بالمزيد وأولاده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الكامل في صفاته، العالي عن النظراء والأشباه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي اختاره على الخلق واصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما انشق الصبح وأشرق ضياه، وسلم تسليمًا.

إخواني: سبق في المجلس الخامس أن تلاوة القرآن على نوعين: تلاوة لفظه وهي قراءته، وتقدم الكلام عليها هناك.

والنوع الثاني: تلاوة حكمه بتصديق أخباره واتباع أحكامه فعلا للمأمورات وتركها للمنهيات.

وهذا النوع هو الغاية الكبرى من إنزال القرآن كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ولهذا درج السلف الصالح عليهم السلام على ذلك يتعلمون القرآن، ويصدقون به، ويطبّقون أحكامه تطبيقًا إيجابيًا عن عقيدة راسخة، قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمته الله: حدثنا الذين كانوا يُقرئونا القرآن: عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وآله عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

وهذا النوع من التلاوة هو الذي عليه مدار السعادة والشقاوة، قال الله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا

يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧]، فَبَيَّنَ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ ثَوَابَ الْمُتَّبِعِينَ لِهَدَاةِ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَى رَسَلِهِ، وَأَعْظَمَهُ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَبَيَّنَّ عِقَابَ الْمَعْزُومِينَ عَنْهُ.

أما ثواب المتبعين له فلا يضلون ولا يشقون، ونفي الضلال والشقاء عنهم يتضمن كمال الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة.

وأما عقاب المعرضين عنه المتكبرين عن العمل به، فهو الشقاء والضلال في الدنيا والآخرة، فإن له معيشة ضنكا، فهو في دنياه في هم وقلق نفس، ليس له عقيدة صحيحة، ولا عمل صالح ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وهو في قبره في ضيق وذنك، قد ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، وهو في حشره أعمى لا يبصر ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، فهم لما عموا في الدنيا عن رؤية الحق وسموا عن سماعه وأمسكوا عن النطق به ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْتَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [فصلت: ٥]، جازاهم الله في الآخرة بمثل ما كانوا عليه في الدنيا، وأضاعهم كما أضاعوا شريعته ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ [طه: ١٢٥-١٢٦]، ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ [النبا: ٢٦]، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٤]، وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان إذا صلى صلاة - وفي لفظ: صلاة الغداة - أقبل علينا بوجهه فقال: " من رأى منكم الليلة رؤية؟ " قال: فإن رأى أحد قَصَّها. فيقول: " ما شاء الله ". فسألنا يوما فقال: " هل رأى أحد منكم رؤية؟ " قلنا: لا. قال: " لكني رأيت الليلة رجلين أتياي " (فساق الحديث وفيه): " فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيثدَّهه الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا

يرجع إلى الرجل حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثلما فعل به المرة الأولى، فقلت: سبحان الله! ما هذا؟ فقالا لي: انطلق " (فذكر الحديث وفيه:)" أما الرجل الذي أتيت عليه يُثْلَغُ رأسه بالحجر فهو الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة»^{(١) (٢)}.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: " إن الشيطان قد يئس أن يُعْبَدَ في أرضكم ولكن رضي أن يُطَاعَ فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا، إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنة نبيه»^{(٣) (٤)}

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ «يُمَثَّلُ القرآن يوم القيامة رجلا فيؤْتَى بالرجل قد حمله فخالف أمره فيُمَثَّلَ له خصما فيقول: يا رب حَمَلْتَهُ إياي فبئس الحامل تعَدَّى حدودي، وضيع فرائضي، وركب معصيتي، وترك طاعتي، فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال: شأنك به، فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار»^(٥) وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «القرآن حجة لك أو عليك»^{(٦) (٧)} وقال ابن مسعود رضي الله عنه القرآن شافع مُشَفَّع، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار^(٨).

فيا من كان القرآن خصمه كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة؟ ويل لمن شفعاؤه خصمائه يوم تريح البضاعة. عباد الله هذا كتاب الله يُتَلَى بين أيديكم ويُسمع، وهو القرآن

(١) البخاري الجنائز (١٣٢٠)، أحمد (٩/٥).

(٢) رواه البخاري.

(٣) ابن ماجه المناسك (٣٠٥٥).

(٤) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وقد روى الإمام أحمد نحو الجملة الأولى منه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ضعيف ونقل عن الحافظ ابن حجر تحسينه، فإن ثبت أنه حسن فالممثل قراءة القارئ أو جزاؤها وهما مخلوقان، أو يقال: إن التمثيل يقتضي أن الممثل به غير الممثل فلا يستلزم أن يخلق القرآن.

(٦) مسلم الطهارة (٢٢٣)، الترمذي الدعوات (٣٥١٧)، ابن ماجه الطهارة وسننها (٢٨٠)، أحمد (٣٤٤/٥)، الدارمي الطهارة (٦٥٣).

(٧) رواه مسلم.

(٨) وقد رُوِيَ عنه مرفوعا إلى النبي.

الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا يتصدع، ومع هذا فلا أذن تسمع، ولا عين تدمع، ولا قلب يخشع، ولا امتثال للقرآن فيُرجى به أن يَشْفَع، قلوب خلت من التقوى فهي خراب بلقع، وتراكت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع، كم تُتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة، وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقوة، لا الشباب منا ينتهي عن الصبوة، ولا الشيخ ينتهي عن القبيح فيلحق بأهل الصفوة، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة، وإذا تُليت عليهم آياته وجلت قلوبهم وجلت قلوبهم جَلْوَةً؟ أولئك قوم أنعم الله عليهم فعرفوا حقه فاخترأوا الصفوة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بليته إذ الناس ينامون، وبنهاره إذ الناس يُفطرون، وبكائه إذ الناس يضحكون، وبورعه إذ الناس يخلطون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون، وبجزنه إذ الناس يفرحون.

يا نفس فاز الصالحون بالتقى	وأبصروا الحق وقلبي قد عمي
يا حسنهم والليل قد أجنهم	ونورهم فوق نور الأنجم
ترموا بالذكر في ليلهمو	فعيشهم قد طاب بالترم
قلوبهم للذكر قد تفرغت	دموعهم كلؤلؤ منتظم
أسحارهم بنورهم قد أشرقت	وخلع الغفران خير القسم
قد حفظوا صيامهم من لغوهم	وخشعوا في الليل في ذكرهم

إخواني: احفظوا القرآن قبل فوات الإمكان، وحافظوا على حدوده من التفریط والعصيان، واعلموا أنه شاهد لكم أو عليكم عند الملك الديان.

ليس من شكر نعمة الله بإنزاله أن نتخذه وراةنا ظهريا، وليس من تعظيم حرمات الله أن نتخذ أحكامه سخريا، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿٣١﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٣٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٣٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٤٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٤١﴾ [الفرقان: ٢٧-٣١].

اللهم ارزقنا تلاوة كتابك حق التلاوة، واجعلنا ممن نال به الفلاح والسعادة، اللهم ارزقنا إقامة لفظه ومعناه، وحفظ حدوده ورعاية حرمة، اللهم اجعلنا من الراسخين في العلم، المؤمنين بمحكمه ومتشابهه، تصديقاً بأخباره وتنفيذاً لأحكامه، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الثالث عشر في آداب قراءة القرآن

الحمد لله الذي لشرعه يخضع من يعبد، ولعظمته يخشع من يركع ويسجد، ولطيب مناجاته يسهر المنتهجد ولا يرقد، ولطلب ثوابه يبذل المجاهد نفسه ويجهد، يتكلم سبحانه بكلامٍ يجِلُّ أن يُشابهه كلام المخلوقين ويبعد، ومن كلامه كتابه المنزل على نبيه أحمد نقرؤه ليلاً ونهاراً ونردد، فلا يخلق عن كثرة الترداد ولا يُملُّ ولا يُفَنِّد، أحمده حمد من يرجو الوقوف على بابه غير مُشَرَّد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أخلص لله وتعبد، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله الذي قام بواجب العبادة وتزوَّد، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي ملاً قلوب مبغضيه قرحات تنفذ، وعلى عمر الذي لم يزل يُفَوِّي الإسلام ويعضد، وعلى عثمان الذي جاءته الشهادة فلم يتردد، وعلى علي الذي ينسف زرع الكفر بسيفه ويحصد، وعلى سائر آله وأصحابه صلاة مستمرة على الزمان المؤبَّد، وسلم تسليمًا.

إخواني: إن هذا القرآن الذي بين أيديكم تتلونه وتسمعونوه وتحفظونه وتكتبونه، هو كلام ربكم رب العالمين، وإله الأولين والآخرين، وهو حبله المتين، وصراطه المستقيم، وهو الذكر المبارك والنور المبين، تكلم الله به حقيقة على الوصف الذي يليق بجلاله وعظمته، وألقاه على جبريل الأمين أحد الملائكة الكرام المقربين، فنزل به على قلب مُحمَّد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، وصفه الله بأوصاف عظيمة لتعظموه وتحترموه فقال تعالى: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ [المائدة: ١٥-١٦]، ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ [يونس: ٣٧]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧].

﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٦-٨٧]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩١﴾﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٩٠﴾﴾ [الإسراء: ٩-١٠]، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكْرَةً لِّمَنْ يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ ﴿٤﴾﴾ [طه: ٢-٤].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١]، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٧﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٨﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤٠﴾ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٧]، ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٣١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١١]، ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩]، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٦٩-٧٠]، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾ [ص: ٦٧]، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى لِّلَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٥١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٥٢﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٣﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٥٤﴾ [الزخرف: ٤]، ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٥﴾ [الجاثية: ٢٠]، ﴿وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ ﴿٥٦﴾ [ق: ١]، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٥٩﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٦٠﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٦١﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٠]، ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٣﴾ [الحشر: ٢١]، وقال تعالى عن الجن: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٤﴾ [الحشر: ١]، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٦٥﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٦٦﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

فهذه الأوصاف العظيمة الكثيرة التي نقلناها وغيرها مما لم نقله تدل كلها على عظمة هذا القرآن، ووجوب تعظيمه والتأدب عند تلاوته، والبعد حال قراءته عن الهزء واللعب.

فمن آداب التلاوة إخلاص النية لله تعالى فيها؛ لأن تلاوة القرآن من العبادات الجليلة كما سبق بيان فضلها، وقد قال الله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٦﴾ [غافر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً ﴿١٠٧﴾ [البينة: ٥]، وقال النبي ﷺ «اقرأوا القرآن وابتغوا به وجه الله ﷻ من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدرح يتعجلونه ولا يتأجلونه»^(١) ^(٢) ومعنى يتعجلونه يطلبون به أجر الدنيا.

* ومن آدابها: أن يقرأ بقلب حاضر يتدبر ما يقرأ ويفهم معانيه، ويخشع عند ذلك قلبه، ويستحضر بأن الله يخاطبه في هذا القرآن لأن القرآن كلام الله عز وجل.

* ومن آدابها: أن يقرأ القرآن على طهارة لأن هذا من تعظيم كلام الله ﷻ ولا يقرأ القرآن

(١) أبو داود الصلاة (٨٣٠)، أحمد (٣٥٧/٣).

(٢) رواه أحمد، وإسناده حسن.

وهو جنب حتى يغتسل إن قدر على الماء، أو يتيمم إن كان عاجزا عن استعمال الماء لمرض أو عدم، وللجنب أن يذكر الله ويدعوه بما يوافق القرآن إذا لم يقصد القرآن، مثل أن يقول: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

* ومن آدابها: أن لا يقرأ القرآن في الأماكن المستقدرة، أو في مجمع لا يُنصت فيه لقراءته لأن قراءته في مثل ذلك إهانة له، ولا يجوز أن يقرأ القرآن في بيت الخلاء ونحوه مما أعد للتبول أو التغوط لأنه لا يليق بالقرآن الكريم.

* ومن آدابها: أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم عند إرادة القراءة لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، ولئلا يصدده الشيطان عن القراءة أو كمالها، وأما البسملة فإن كان ابتداء قراءته من أثناء السورة فلا يُبَسِّمِل، وإن كان من أول السورة فليبسمل إلا في سورة التوبة فإنه ليس في أولها بسملة؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم أشكل عليهم حين كتابة المصحف هل هي سورة مستقلة أو بقية الأنفال؟ ففصلوا بينهما بدون بسملة، وهذا الاجتهاد هو المطابق للواقع بلا ريب، إذ لو كانت البسملة قد نزلت في أولها لبقيت محفوظة بحفظ الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

* ومن آدابها: أن يُحَسِّنَ صوته بالقرآن وَيَتَرَمَّمْ به، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أذن الله لشيء (أي: ما استمع لشيء) كما أذن لني حسن الصوت يتعقَّى بالقرآن يجهر به»^(١) ^(٢) «وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحد أحسن صوتا أو قراءة منه»^(٣) صلى الله عليه وسلم^(٤) لكن إن كان حول القارئ أحد يتأذى بجهره في

(١) البخاري التوحيد (٧١٠٥)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٩٢)، النسائي الافتتاح (١٠١٧)، أبو داود الصلاة (١٤٧٣)، أحمد (٢/٢٨٥)، الدارمي فضائل القرآن (٣٤٩٧).

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري تفسير القرآن (٤٥٧٣)، مسلم الصلاة (٤٦٣)، النسائي الافتتاح (٩٨٧)، أبو داود الصلاة (٨١١)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٣٢)، أحمد (٤/٨٣)، مالك النداء للصلاة (١٧٢)،

الدارمي الصلاة (١٢٩٥).

(٤) متفق عليه.

قراءته كالنائم والمصلي ونحوهما فإنه لا يجهر جهرا يشوش عليه أو يؤذيه؛ لأن النبي ﷺ خرج على الناس وهم يصلون ويجهرون بالقراءة فقال: «إن المصلي يناجي ربه فلينظر بما يناجيه به ولا يجهر بعضكم على بعض في القرآن»^{(١) (٢)}.

* ومن آدابها: أن يرتل القرآن توتيلاً، لقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزل: ٤]، فيقرأه بتمهل بدون سرعة؛ لأن ذلك أعون على تدبر معانيه وتقوم حروفه وألفاظه، فعن أنس بن مالك ﷺ «أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ فقال: كانت مدًا، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم»^{(٣) (٤)} «وسئلت أم سلمة رضي الله عنها عن قراءة النبي ﷺ فقالت: كان يُقَطِّع قراءته آية آية، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣﴾﴾ [الفاحة: ١-٤]»^(٥) وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا تنثروه نثر الرمل ولا تهدؤوه هدأ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة، ولا بأس بالسرعة التي ليس فيها إخلال باللفظ: بإسقاط بعض الحروف أو إدغام ما لا يصح إدغامه، فإن كان فيها إخلال باللفظ فهي حرام لأنها تغيير للقرآن.

* ومن آدابها: أن يسجد إذا مر بآية سجدة وهو على وضوء في أي وقت كان من ليل أو نهار، فيكبر للسجود ويقول: سبحان ربي الأعلى، ويدعو، ثم يرفع من السجود بدون تكبير ولا سلام، لأنه لم يرد عن النبي ﷺ إلا أن يكون السجود في أثناء الصلاة فإنه يكبر في الصلاة إذا سجد وإذا قام «لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يكبر كلما خفض ورفع، ويُحَدِّثُ أَنْ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ»^{(٦) (١)} وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَكْبُرُ فِي كُلِّ رَفْعٍ وَخَفْضٍ وَقِيَامٍ

(١) أحمد (٣٤٤/٤)، مالك النداء للصلاة (١٧٨).

(٢) رواه مالك في الموطأ، قال ابن عبد البر: وهو حديث صحيح.

(٣) البخاري فضائل القرآن (٤٧٥٩)، النسائي الافتتاح (١٠١٤)، أبو داود الصلاة (١٤٦٥)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٣)، أحمد (١١٩/٣).

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

(٦) البخاري الأذان (٧٥٢)، مسلم الصلاة (٣٩٢)، النسائي التطبيق (١١٥٥)، أحمد (٢٣٦/٢)، مالك النداء

«وقعود»^(٢) ^(٣) وهذا يعم سجود الصلاة وسجود التلاوة في الصلاة.

هذه بعض آداب القراءة فتأدّبوا بها واحرصوا عليها وابتغوا بها من فضل الله.

اللهم اجعلنا من المعظّمين لحرمتك، الفائزين بمباتك، الوارثين لجنتك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

للصلاة (١٦٨).

(١) رواه مسلم.

(٢) الترمذي الصلاة (٢٥٣)، النسائي التطبيق (١١٤٩)، الدارمي الصلاة (١٢٤٩).

(٣) رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه.

المجلس الرابع عشر

في مفطرات الصوم

الحمد لله المطَّلَع على ظاهر الأمر ومكنونه، العالم بسر العبد وجهره وظنونه، المتفرد بإنشاء العالم وإبداع فنونه، المدبّر لكل منهم في حركته وسكونه، أحسن كلّ شيء وخلق، وفتح الأسماع وشق الحُدُق، وأحصى عدد ما في الشجر من ورق، في أعواده وغصونه، مد الأرض ووضعها، وأوسع السماء ورفعها، وسيّر النجوم وأطلعها، في حندس الليل ودجونه، أنزل القطر وبلا رذاذ، فأنقذ به البذور من اليبس إنقاذاً ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١]، أمّده على جوده وإحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وسلطانه، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله المؤيد ببرهانه، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر في جميع شأنه، وعلى عمر مقلق كسرى في إيوانه، وعلى عثمان ساهر ليله في قرآنه، وعلى علي قالع باب خيبر ومُرزَل حصونه، وعلى آل وأصحابه المجتهد كلُّ منهم في طاعة ربه في حركته وسكونه، وسلم تسليمًا.

إخواني: قال الله تعالى: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَنْبَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ذكر الله في هذه الآية الكريمة أصول مُفطّرات الصوم، وذكر النبي ﷺ في السُنّة تمام ذلك.

والمُفطّرات سبعة أنواع:

* الأول: الجماع وهو إيلاج الذكر في الفرج، وهو أعظمها وأكبرها إثماً، فمتى جامع الصائم بطل صومه فرضاً كان أو نفلاً، ثم إن كان في نهار رمضان والصوم واجب عليه لزمه مع القضاء الكفارة المغلظة، وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين لا يفطر بينهما إلا لعذر شرعي كأيام العيدين والتشريق، أو لعذر حسي كالمرض والسفر لغير قصد الفطر، فإن أفطر لغير عذر ولو يوماً واحداً لزمه استئناف الصيام من جديد ليحصل التتابع، فإن لم يستطع

صيام شهرين متتابعين فإطعام ستين مسكينا، لكل مسكين نصف كيلو وعشرة غرامات من البُرِّ الجيد ويجزي الرز عن البر لكن تجب ملاحظة الوزن، فإن كان الرز أثقل زيدَ في وزنه بقدره، وإن كان أخف نقص من وزنه بقدر. وفي الحديث: «أن رجلا وقع بامرأته في رمضان فاستفتى النبي ﷺ عن ذلك فقال: "هل تجد رقبة؟" قال: لا. قال: هل تستطيع صيام شهرين؟»^(١) (يعني متتابعين كما في الروايات الأخرى)، «قال: لا. قال: " فإطعم ستين مسكينا»^(٢) ^(٣) وهو في الصحيحين مطوّلاً.

* الثاني: إنزال المنى باختياره بتقبيل أو لمس أو استمناء أو غير ذلك؛ لأن هذا من الشهوة التي لا يكون الصوم إلا باجتنابها كما جاء في الحديث القدسي: «يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»^(٤) ^(٥) فأما التقبيل والمس بدون إنزال فلا يفطر، لحديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يُقبّل وهو صائم ويباشر وهو صائم ولكنه كان أملككم لإربه»^(٦) ^(٧) وعن عمر بن أبي سلمة «أنه سأل النبي ﷺ أيقبّل الصائم؟ فقال النبي ﷺ " سل هذه " - يعني أم سلمة -، فأخبرته أن النبي ﷺ كان يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال النبي ﷺ " أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له»^(٨) ^(٩) لكن إن كان الصائم يخشى

(١) البخاري الحدود (٦٤٣٦)، مسلم الصيام (١١١١)، الترمذي الصوم (٧٢٤)، أبو داود الصوم (٢٣٩٠)، ابن ماجه الصيام (١٦٧١)، أحمد (٢٨١/٢)، مالك الصيام (٦٦٠)، الدارمي الصوم (١٧١٦).
 (٢) البخاري الهبة وفضلها والتحرير عليها (٢٤٦٠)، مسلم الصيام (١١١١)، الترمذي الصوم (٧٢٤)، أبو داود الصوم (٢٣٩٠)، ابن ماجه الصيام (١٦٧١)، أحمد (٢٨١/٢)، مالك الصيام (٦٦٠)، الدارمي الصوم (١٧١٦).

(٣) رواه مسلم.

(٤) البخاري الصوم (١٧٩٥)، ابن ماجه الصيام (١٦٣٨).

(٥) رواه البخاري.

(٦) البخاري الصوم (١٨٢٧)، مسلم الصيام (١١٠٦)، الترمذي الصوم (٧٢٩)، أبو داود الصوم (٢٣٨٢)، ابن ماجه الصيام (١٦٨٧)، أحمد (١٢٦/٦)، مالك الصيام (٦٤٦)، الدارمي المقدمة (٦٣٤).

(٧) متفق عليه.

(٨) البخاري الحيض (٣١٦)، مسلم الصيام (١١٠٨)، أحمد (٣١٨/٦).

على نفسه من الإنزال بالتقبيل ونحوه أو من التدرج بذلك إلى الجماع لعدم قوته على كبح شهوته، فإن التقبيل ونحوه يجرم حينئذ سدا للذريعة وصونا لصيامه عن الفساد، ولذلك أمر النبي ﷺ المتوضئ بالمبالغة في الاستنشاق إلا أن يكون صائما خوفا من تسرب الماء إلى جوفه.

وأما الإنزال بالاحتلام أو بالتفكير المجرد عن العمل فلا يفطر؛ لأن الاحتلام بغير اختيار الصائم، وأما التفكير فمعهفو عنه لقوله ﷺ «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم» (٢) (٣).

الثالث: الأكل أو الشرب، وهو إيصال الطعام أو الشراب إلى الجوف من طريق الفم أو الأنف أيا كان نوع المأكل أو المشروب، لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسْبَغَ لَكُمْ الْحَيْضُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْضِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والسَّعُوطُ فِي الْأَنْفِ كَالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ لَقِيَطِ بْنِ صَبْرَةَ: «وَبَالِغٌ فِي الْأَسْتِنْشَاقِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا» (٤) (٥) فأما شم الروائح فلا يفطر لأنه ليس للرائحة جرم يدخل إلى الجوف.

* الرابع: ما كان بمعنى الأكل والشراب وهو شيطان:

* أحدهما: حقن الدم في الصائم مثل أن يصاب بنزيف فيحقن به دم فيفطر بذلك؛ لأن الدم هو غاية الغذاء بالطعام والشراب، وقد حصل ذلك بحقن الدم فيه (٦).

الشيء الثاني: الإبر المغذية التي يُكْتَفَى بها عن الأكل والشرب فإذا تناولها أفطر؛ لأنه وإن لم

(١) رواه مسلم.

(٢) البخاري الطلاق (٤٩٦٨)، مسلم الإيمان (١٢٧)، الترمذي الطلاق (١١٨٣)، النسائي الطلاق (٣٤٣٥)، أبو داود الطلاق (٢٢٠٩)، ابن ماجه الطلاق (٢٠٤٠)، أحمد (٣٩٣/٢).

(٣) متفق عليه.

(٤) الترمذي الصوم (٧٨٨)، النسائي الطهارة (٨٧)، أبو داود الطهارة (١٤٢)، ابن ماجه الطهارة وسننها (٤٠٧)، أحمد (٢١١/٤).

(٥) رواه الخمسة وصححه الترمذي.

(٦) هذا ما كنت أراه من قبل ثم ظهر لي أن حقن الدم لا يفطر؛ لأنه ليس أكلا ولا شربا ولا بمعناها، والأصل بقاء صحة الصوم حتى يتبين فساده؛ لأن من القواعد المقررة أن اليقين لا يزول بالشك.

تكن أكلا وشربا حقيقة، فإنها بمعناها، فثبت لها حكمهما، فأما الإبر غير المغذية فإنها غير مفطرة سواء تناولها عن طريق العضلات أو عن طريق العروق، حتى ولو وجد حرارتها في حلقه فإنها لا تفطر؛ لأنها ليست أكلا ولا شربا ولا بمعناها فلا يثبت لها حكمهما، ولا عبرة بوجود الطعم في الحلق في غير الأكل والشرب، ولذا قال فقهاؤنا: لو لطح باطن قدمه بمنظف فوجد طعمه في حلقه لم يفطر، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته في رسالة (حقيقة الصيام): ليس في الأدلة ما يقتضي أن المفطر الذي جعله الله ورسوله مفطرا هو ما كان واصلا إلى دماغ أو بدن، أو ما كان داخلا من منقذ، أو واصلا إلى جوف ونحو ذلك من المعاني التي يجعلها أصحاب هذه الأقاويل هي مناط الحكم عند الله ورسوله، قال: وإذا لم يكن دليل على تعليق الله ورسوله الحكم على هذا الوصف، كان قول القائل: إن الله ورسوله إنما جعلوا هذا مفطرا لهذا قولاً بلا علم. انتهى كلامه رحمته.

* النوع الخامس: إخراج الدم بالحجامة، لقول النبي ﷺ «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»^(١) (٢) وهذا مذهب الإمام أحمد وأكثر فقهاء الحديث، وفي معنى إخراج الدم بالحجامة إخراج الفصد ونحوه مما يُؤثّر على البدن كتأثير الحجامة، وعلى هذا فلا يجوز للصائم صوما واجبا أن يتبرع بإخراج دمه الكثير الذي يؤثر على البدن تأثير الحجامة إلا أن يوجد مضطر له لا تندفع ضرورته إلا به، ولا ضرر على الصائم بسحب الدم منه فيجوز للضرورة ويفطر ذلك اليوم ويقضي، وأما خروج الدم بالرعاف أو السعال أو الباسور أو قلع السن أو شق الجرح أو تحليل الدم أو غرز الإبرة ونحوها فلا يفطر لأنه ليس بحجامة ولا بمعناها إذ لا يؤثر في البدن كتأثير الحجامة.

* السادس: التقيؤ عمدا وهو إخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم، لقول النبي ﷺ «من ذرعه القيء فليس عليه قضاء ومن استقاء عمدا فليقض»^(٣) (٤) ومعنى ذرعه:

(١) الترمذي الصوم (٧٧٤)، أحمد (٤٦٥/٣).

(٢) رواه أحمد وأبو داود من حديث شداد بن أوس، قال البخاري: ليس في الباب أصح منه.

(٣) الترمذي الصوم (٧٢٠)، أبو داود الصوم (٢٣٨٠)، ابن ماجه الصيام (١٦٧٦)، أحمد (٤٩٨/٢)، الدارمي

الصوم (١٧٢٩).

(٤) رواه الخمسة إلا النسائي وصححه الحاكم.

غلبه، ويفطر إذا تعمد القيء إما بالفعل كعصر بطنه أو غمز حلقه، أو بالشم مثل أن بشم شيئاً ليقيء به، أو بالنظر كأن يتعمد النظر إلى شيء ليقيء به فيفطر بذلك كله، أما إذا حصل القيء بدون سبب منه فإنه لا يضر، وإذا راجت معدته لم يلزمه منع القيء لأن ذلك يضره، ولكن يتركه فلا يحاول القيء ولا منعه.

* السابع: خروج دم الحيض والنفاس، لقول النبي ﷺ في المرأة: «أليس إذا حاضت لم تُصَلِّ ولم تَصُوم؟»^(١)، فمتى رأت دم الحيض أو النفاس فسد صومها سواء في أول النهار أم في آخره ولو قبل الغروب بلحظة، وإن أحست بانتقال الدم ولم يبرز إلا بعد الغروب فصومها صحيح.

ويحرم على الصائم تناول هذه المفطرات إن كان صومه واجبا كصوم رمضان والكفارة والنذر إلا أن يكون له عذر يبيح الفطر كسفر ومرض ونحوهما؛ لأن من تلبس بواجب لزمه إتمامه إلا لعذر صحيح، ثم إن تناولها في نهار رمضان لغير عذر وجب عليه الإمساك بقية اليوم والقضاء، وإلا لزمه القضاء دون الإمساك، أما إن كان صومه تطوعاً فإنه يجوز له الفطر ولو بدون عذر ولكن الأَوْلى الإتمام.

إخواني: حافظوا على الطاعات، وجانبوا المعاصي والمحرمات، وابتهلوا إلى فاطر الأرض والسموات، وتعرضوا لنفحات جوده فإنه جزيل الهبات، واعلموا أنه ليس لكم من دنياكم إلا ما أمضيتموه في طاعة مولاكم، فالغنيمة الغنيمة قبل فوات الأوان، والمراحمرة المراحمرة قبل حلول الخسران.

اللهم وفقنا لاغتنام الأوقات، واشغلنا بالأعمال الصالحات، اللهم جُدْ علينا بالفضل والإحسان، وعاملنا بالعفو والغفران، اللهم يسِّرْنا لليسرى، وجنبنا العسرى، واغفر لنا في الآخرة والأولى، اللهم ارزقنا شفاعة نبينا وأوردنا حوضه، واسقنا منه شربة لا نظماً بعدها أبدا يا رب العالمين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ونبيك مُحَمَّد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) البخاري الحيض (٢٩٨)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٨٨).

الجلس الخامس عشر

في شروط الفطر بالمفطرات وما لا يفطر وما يجوز للصائم

الحمد لله الحكيم الخالق، العظيم الحليم الصادق، الرحيم الكريم الرازق، رفع السبع الطرائق بدون عمد ولا علائق، وثبت الأرض بالجمال الشواهد، تعرّف إلى خلقه بالبراهين والحقائق، وتكفل بأرزاق جميع الخلائق، خلق الإنسان من ماء دافق، وألزمه بالشرائع لوصل العلائق، وسامحه عن الخطأ والنسيان فيما لا يوافق، أحمده ما سكت ساكت ونطق ناطق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص لا منافق، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي عمّت دعوته النازل والشاهق، ﷺ وعلى صاحبه أبي بكر القائم يوم الردة بالحزم اللائق، وعلى عمر مُدَوِّخ الكفار وفتح المغالق، وعلى عثمان ما استحل حرمة إلا مارق، وعلى علي الذي كان لشجاعته يسلك المضائق، وعلى آلِه وأصحابه الذين كل منهم على من سواهم فائق، وسلم تسليمًا.

إخواني: إن المفطرات السابقة ما عدا الحيض والنفاس، وهي الجماع والإنزال بالمباشرة والأكل والشرب وما بمعناهما والحجامة والقيء، لا يُفطر الصائم شيء منها إلا إذا تناولها عالماً ذاكرة مختاراً، فهذه ثلاثة شروط:

* الشرط الأول: أن يكون عالماً، فإن كان جاهلاً لم يفطر، لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فقال الله: قد فعلت^(١) وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥]، وسواء كان جاهلاً بالحكم الشرعي مثل أن يظن أن هذا الشيء غير مفطر فيفعله، أو جاهلاً بالحال أي بالوقت مثل أن يظن أن الفجر لم يطلع فيأكل وهو طالع، أو يظن أن الشمس قد غربت فيأكل وهي لم تغرب، فلا يفطر في ذلك كله، لما روي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: «**لما نزلت هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾** [البقرة:

[١٨٧]، عَمَدْتُ إِلَى عَقَالَيْنِ أَحَدُهُمَا أَسْوَدٌ وَالْآخَرُ أَبْيَضٌ فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وَسَادَتِي وَجَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لِي الْأَبْيَضُ مِنَ الْأَسْوَدِ أَمْسَكْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتَهُ بِالذِّي صَنَعْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنْ وَسَادَكَ إِذْنٌ لِعَرِيضٍ إِنْ كَانَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ تَحْتَ وَسَادِكَ، إِنَّمَا ذَلِكَ بِيَاضِ النَّهَارِ وَسَوَادِ اللَّيْلِ»^(١) فَقَدْ أَكَلَ عَدِي بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَلَمْ يَمْسِكْ حَتَّى تَبَيَّنَ لَهُ الْخَيْطَانِ، وَلَمْ يَأْمُرْهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْقِضَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ جَاهِلًا بِالْحُكْمِ، وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أَفْطَرْنَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ غِيَمٍ ثَمَ طَلَعَتِ الشَّمْسُ»^(٢) (٣) وَلَمْ تَذْكُرْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالْقِضَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا جَاهِلِينَ بِالْوَقْتِ، وَلَوْ أَمَرَهُمْ بِالْقِضَاءِ لَنُقِلَ لِأَنَّهُ مِمَّا تُؤَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ لِأَهْمِيَّتِهِ، بَلْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي رِسَالَةِ (حَقِيقَةُ الصِّيَامِ): إِنَّهُ نَقَلَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ أَحَدَ رِوَاةِ الْحَدِيثِ عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ أَنَّهُمْ لَمْ يَوْمَرُوا بِالْقِضَاءِ، لَكِنْ مَتَى عُلِمَ بَبَقَاءِ النَّهَارِ وَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبْ أَمْسَكَ حَتَّى تَغِيبَ.

ومثل ذلك لو أكل بعد طلوع الفجر يظن أن الفجر لم يطلع فتبين له بعد ذلك أنه قد طلع، فصيامه صحيح ولا قضاء عليه لأنه كان جاهلاً بالوقت، وقد أباح الله له الأكل والشرب حتى يتبين له الفجر، والمباح المأذون فيه لا يؤمر فاعله بالقضاء، لكن متى تبين له وهو يأكل أو يشرب أن الشمس لم تغرب أو أن الفجر قد طلع أمسك ولفظ ما في فمه إن كان فيه شيء لزوال عذره حينئذ.

* **الشرط الثاني:** أن يكون ذاكراً، فإن كان ناسياً فصيامه صحيح ولا قضاء عليه لما سبق في آية البقرة، ولما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلَيْتَمَ صَوْمُهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ»^(٤) (٥) فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِتْمَامِهِ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّتِهِ، وَنِسْبَةٌ

(١) متفق عليه.

(٢) البخاري الصوم (١٨٥٨)، أبو داود الصوم (٢٣٥٩)، ابن ماجه الصيام (١٦٧٤)، أحمد (٣٤٦/٦).

(٣) رواه البخاري.

(٤) البخاري الصوم (١٨٣١)، مسلم الصيام (١١٥٥)، الترمذي الصوم (٧٢١)، ابن ماجه الصيام (١٦٧٣)،

أحمد (٤٩١/٢)، الدارمي الصوم (١٧٢٧).

(٥) متفق عليه واللفظ لمسلم.

إطعام الناسي وسقيه إلى الله دليل على عدم المؤاخذه عليه، لكن متى ذكّر أو ذكّر أمسك ولفظ ما في فمه إن كان فيه شيء لزوال عذره حينئذ، ويجب على من رأى صائما يأكل أو يشرب أن ينبّهه لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

* الشرط الثالث: أن يكون مختارا، أي: متناولا للمفطر باختياره وإرادته، فإن كان مكرها فصيامه صحيح ولا قضاء عليه؛ لأن الله سبحانه رفع الحكم عن كفر مكرها وقلبه مطمئن بالإيمان فقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]، فإذا رفع الله حكم الكفر عن أكره عليه فما دونه أولى، ولقوله ﷺ «إن الله تجاوز عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»^(١) ^(٢) فلو أكره الرجل زوجته على الوطاء وهي صائمة فصيامها صحيح ولا قضاء عليها، ولا يحل له إكراهها على الوطاء وهي صائمة إلا إن صامت تطوعا بغير إذنه وهو حاضر، ولو طار إلى جوف الصائم غبار أو دخل فيه شيء من الماء بغير اختياره فصيامه صحيح ولا قضاء عليه.

ولا يُفطر الصائم بالكحل والدواء في عينه ولو وجد طعمه في حلقه؛ لأن ذلك ليس بأكل ولا شرب ولا بمعناهما، ولا يُفطر بتقطير دواء في أذنه أيضا ولا بوضع دواء في جرح ولو وجد طعم الدواء في حلقه؛ لأن ذلك ليس أكلا ولا شربا ولا بمعنى الأكل والشرب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة (حقيقة الصيام): ونحن نعلم أنه ليس في الكتاب والسنة ما يدل على الإفطار بهذه الأشياء، فعلمنا أنها ليست مفطرة، قال: فإن الصيام من دين المسلمين الذي يحتاج إلى معرفته الخاص والعام، فلو كانت هذه الأمور مما حرمه الله ورسوله في الصيام ويفسد الصوم بها لكان هذا مما يجب على الرسول ﷺ بيانه، ولو ذكر ذلك لعلمه الصحابة وبلغوه الأمة كما بلغوا سائر شرعه، فلما لم ينقل أحد من أهل العلم عن النبي ﷺ في ذلك لا حديثا صحيحا ولا ضعيفا ولا مسندا ولا مرسلا علم أنه لم يذكر شيئا من ذلك، والحديث المروي في الكحل

(١) ابن ماجه الطلاق (٢٠٤٣).

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقي وحسنه النووي.

يعني «أن النبي ﷺ أمر بالإثم المُرَّوح عند النوم وقال: "لَيْتَقِه الصائم»^(١) ^(٢) وقال شيخ الإسلام أيضا: والأحكام التي تحتاج الأمة إلى معرفتها لا بد أن يبينها النبي ﷺ بيانا عاما، ولا بد أن تنقلها الأمة، فإذا انتفى هذا عُلِمَ أن هذا ليس من دينه. انتهى كلامه رحمته، وهو كلام رصين مبني على براهين واضحة وقواعد ثابتة.

ولا يُفَطِّر بذوق الطعام إذا لم يبلعه، ولا بشم الطيب والبخور، لكن لا يستنشق دخان البخور لأن له أجزاء تصعد فرما وصل إلى المعدة شيء منه، ولا يفطر بالمضمضة والاستنشاق لكن لا يبالغ في ذلك لأنه ربما تهرَّب شيء من الماء إلى جوفه، وعن لقيط بن صبرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائما»^(٣) ^(٤).

ولا يُفَطِّر بالتسوك، بل هو سنة له في أول النهار وآخره كالمفطرين لقول النبي ﷺ «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»^(٥) ^(٦) وهذا عام في الصائمين وغيرهم في جميع الأوقات، «وقال عامر بن ربيعة رضي الله عنه رأيت النبي ﷺ ما لا أحصي يتسوك وهو صائم»^(٧) ^(٨).

ولا ينبغي للصائم تطهير أسنانه بالمعجون لأن له نفوذا قويا ويُحَسِّشُ أن يتسرب مع ريقه إلى جوفه، وفي السواك عُنيَّة عنه.

(١) أبو داود الصوم (٢٣٧٧)، أحمد (٥٠٠/٣)، الدارمي الصوم (١٧٣٣).

(٢) ضعيف رواه أبو داود في السنن ولم يروه غيره، قال أبو داود: قال لي يحيى بن معين: هذا حديث منكر.

(٣) الترمذي الصوم (٧٨٨)، النسائي الطهارة (٨٧)، أبو داود الطهارة (١٤٢)، ابن ماجه الطهارة وسننها

(٤٠٧)، أحمد (٢١١/٤)، الدارمي الطهارة (٧٠٥).

(٤) رواه أبو داود والنسائي وصححه ابن خزيمة.

(٥) البخاري الجمعة (٨٤٧)، مسلم الطهارة (٢٥٢)، الترمذي الطهارة (٢٢)، النسائي الطهارة (٧)، أبو داود

الطهارة (٤٦)، ابن ماجه الطهارة وسننها (٢٨٧)، أحمد (١٢٠/١)، مالك الطهارة (١٤٧)، الدارمي

الصلاة (١٤٨٤).

(٦) رواه الجماعة.

(٧) الترمذي الصوم (٧٢٥)، أبو داود الصوم (٢٣٦٤).

(٨) رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وذكره البخاري معلقا بصيغة التمریض، وحسَّنه الترمذي، وقال الحافظ ابن

حجر في موضع من التلخيص: إسناده حسن.

ويجوز للصائم أن يفعل ما يخفف عنه شدة الحر والعطش كالتبرّد بالماء ونحوه، لما رُوِيَ عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنهم قالوا: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِالْعَرَجِ (اسم موضع) يصب الماء على رأسه وهو صائم من العطش أو من الحر»^(١) ^(٢) وبلّ ابن عمر رضي الله عنهما ثوبا فألقاه على نفسه وهو صائم، وكان لأنس بن مالك رضي الله عنه حجر منقور يشبه الحوض إذا وجد الحر وهو صائم نزل فيه وكأنه والله أعلم مملوء ماءً، وقال الحسن: لا بأس بالمضمضة والتبرّد للصائم^(٣).

إخواني: تفقّهوا في دين الله لتعبدوا الله على بصيرة فإنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ومن يُردِ الله به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين.

اللهم فَفَقِّهْنَا في ديننا، وارزقنا العمل به، وَثَبِّتْنَا عليه وَتَوَقَّفْنَا مؤمنين، وألحِقْنَا بالصالحين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلّم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أبو داود الصوم (٢٣٦٥)، أحمد (٤٧٥/٣)، مالك الصيام (٦٥٤).

(٢) حديث صحيح رواه مالك وأبو داود.

(٣) ذكر هذه الآثار البخاري في صحيحه تعليقا.

المجلس السادس عشر

في الزكاة

الحمد لله الذي يمحو الرِّزْلَ ويصفح، ويغفر الحَطْلَ ويسمح، كل من لاذ به أفلح، وكل من عامله يريح، رفع السماء بغير عمد فتأمل! والمح، وأنزل القطر فإذا الزرع في الماء يسبح، والمواشي بعد الجذب في الخصب تسرح، وأقام الوُزُقَ على الوُزُقِ تُسَبِّحُ، أغنى وأفقر وربما كان الفقر أصلح، فكم من غني طرحه الأشر والبطر أقبح مطرح، هذا قارون مَلَكُ الكثير لكنه بالقليل لم يسمح، نُبِّهْ فلم يستيقظ وَلَيْمَ فلم ينفعه اللوم إذ قال له قومه: لا تفرح، أحمده ما أمسى النهار وما أصبح، وأشهد أن لا إله إلا الله الغني الجواد مَنَّ بالعطاء الواسع وأفسح، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله الذي جاد الله بنفسه وماله وأبان الحق وأوضح، صلى الله عليه وعلى أصحابه أبي بكر الذي لازمه حضرا وسفرا ولم يبرح، وعلى عمر الذي لم يزل في إعزاز الدين يكدح، وعلى عثمان الذي أنفق الكثير في سبيل الله وأصلح، وعلى علي ابن عمه وأبرأ ممن يغلو فيه أو يقدح، وعلى بقية الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسلم تسليما.

إخواني: قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]، والآيات في وجوب الزكاة وفرضيتها كثيرة، وأما الأحاديث فمنها ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «بُئِيَ الإسلام على خمس: على أن يُوحَدَ اللهُ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج، فقال رجل: الحج وصيام رمضان؟ قال: لا. قال: صيام رمضان والحج»^(١)، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ^(١). وفي رواية: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا

رسول الله»^(٢) (الحديث بمعناه).

فالزكاة أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، وهي قرينة الصلاة في مواضع كثيرة من كتاب الله ﷻ وقد أجمع المسلمون على فرضيتها إجماعاً قطعياً، فمن أنكر وجوبها مع علمه به فهو كافر خارج عن الإسلام، ومن بخل بها أو انتقص منها شيئاً فهو من الظالمين المتعرضين للعقوبة والنكال، وتجب الزكاة في أربعة أشياء:

* الأول: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ [البقرة: ٢٦٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] ﴿[الأنعام: ٤١]، وأعظم حقوق المال الزكاة، وقال النبي ﷺ «فيما سقت السماء أو كان عَثْرًا الْعُشْرُ، وفيما سُقِيَ بالنضح نصف العشر»^(٣) ^(٤) ولا تجب الزكاة فيه حتى يبلغ نصاباً وهو خمسة أوسق، لقول النبي ﷺ «ليس في حَبِّ ولا ثمر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق»^(٥) ^(٦). والوسق ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ الذي تبلغ زنته بالبر الجيد ألفين وأربعين جراماً، أي: كيلوين وخمسين عُشر الكيلو، ولا زكاة فيما دونها، ومقدار الزكاة فيها العُشر كاملاً فيما سُقِيَ بدون كُلفة ونصفه فيما سُقِيَ بكلفة، ولا تجب الزكاة في الفواكه والخضروات والبطيخ ونحوها، لقول عمر:

ليس في الخضروات صدقة، وقول علي: ليس في التفاح وما أشبه صدقة، ولأنها ليست بحب

(١) رواه مسلم.

(٢) البخاري الإيمان (٨)، مسلم الإيمان (١٦)، الترمذي الإيمان (٢٦٠٩)، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠١)، أحمد (٩٣/٢).

(٣) البخاري الزكاة (١٤١٢)، الترمذي الزكاة (٦٤٠)، النسائي الزكاة (٢٤٨٨)، أبو داود الزكاة (١٥٩٦)، ابن ماجه الزكاة (١٨١٧).

(٤) رواه البخاري.

(٥) البخاري الزكاة (١٣٩٠)، مسلم الزكاة (٩٧٩)، النسائي الزكاة (٢٤٨٤)، أحمد (٨٦/٣)، مالك الزكاة (٥٧٦)، الدارمي الزكاة (١٦٣٤).

(٦) رواه مسلم.

ولا ثمر، لكن إذا باعها بدراهم وحال الحول على ثمنها ففيه الزكاة.

* **الثاني: بھيمة الأنعام** وهي الإبل والبقر والغنم ضأنًا كانت أم معزا إذا كانت سائمة وأعدت للدر والنسل وبلغت نصابا، وأقل النصاب في الإبل خمسون، وفي البقر ثلاثون، وفي الغنم أربعون، والسائمة هي التي ترعى الكلاً النابت بدون بذر آدمي كل السنة أو أكثرها، فإن لم تكن سائمة فلا زكاة فيها، إلا أن تكون للتجارة، وإن أعدت للتكسب بالبيع والشراء والمناقلة فيها فهي عروض تجارة تُزكى زكاة تجارة سواء كانت سائمة أو معلفة إذا بلغت نصاب التجارة بنفسها أو بضمها إلى تجارتها.

* **الثالث: الذهب والفضة** على أي حال كانت لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٤) **يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾** [التوبة: ٣٤-٣٥]، والمراد بكنزها عدم إنفاقها في سبيل الله، وأعظم الإنفاق في سبيل الله إنفاقها في الزكاة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار فأحْمِي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد» (١) (٢).

والمراد بحقها زكاتها كما تفسره الرواية الثانية: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته» (٣) (الحديث) (٤).

وتجب الزكاة في الذهب والفضة سواء كانت نقودا أو تبرا أو حليا يُلبس أو يُعار، أو غير ذلك، لعموم الأدلة الدالة على وجوب الزكاة فيهما بدون تفصيل، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه «أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب

(١) مسلم الزكاة (٩٨٧)، أبو داود الزكاة (١٦٥٨)، أحمد (٣٨٤/٢).

(٢) رواه مسلم.

(٣) مسلم الزكاة (٩٨٧)، أبو داود الزكاة (١٦٥٨)، أحمد (٣٨٤/٢).

(٤) رواه مسلم.

(أي: سواران غليظان)، فقال لها النبي ﷺ "أتعطين زكاة هذا؟" قالت: لا. قال: "أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟" قال: فخلعتهما فألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما لله ورسوله»^(١) ^(٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل علي رسول الله ﷺ فرأى في يدي فتحات من ورق (تعني: من فضة)، فقال النبي ﷺ "ما هذا؟" فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله. قال: "أتؤدين زكاتهن؟" قالت: لا، أو ما شاء الله. قال: "هو حسبك من النار»^(٣) ^(٤).

ولا تجب الزكاة في الذهب حتى يبلغ نصابا وهو عشرون دينارا؛ لأن النبي ﷺ قال في الذهب: «ليس عليك شيء حتى يكون لك عشرون دينارا»^(٥).

المراد الدينار الإسلامي الذي يبلغ وزنه مثقالا، وزنة المثقال أربعة غرامات وربع، فيكون نصاب الذهب خمسة وثمانين غراما يعادل أحد عشر جنيها سعودي وثلاثة أسباع الجنيه.

ولا تجب الزكاة في الفضة حتى تبلغ نصابا وهو خمس أواق، لقول النبي ﷺ «ليس فيما دون خمس أواق صدقة»^(٦) ^(٧) والأوقية أربعون درهما إسلاميا، والدرهم سبعة أعشار مثقال فيبلغ مائة وأربعين مثقالا وهي خمسمائة وخمسة وتسعون غراما تعادل ستة وخمسين ريالا عربيا من الفضة، ومقدار الزكاة في الذهب والفضة ربع العشر فقط.

وتجب الزكاة في الأوراق النقدية لأنها بدل عن الفضة فتقوم مقامها، فإذا بلغت نصاب الفضة وجبت فيها الزكاة، وتجب الزكاة في الذهب والفضة والأوراق النقدية سواء كانت حاضرة عنده أم

(١) النسائي الزكاة (٢٤٧٩)، أبو داود الزكاة (١٥٦٣)، أحمد (٢٠٤/٢).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي.

(٣) أبو داود الزكاة (١٥٦٥).

(٤) أخرجه أبو داود والبيهقي والحاكم وصححه وقال: على شرط الشيخين، وقال ابن حجر في التلخيص: على شرط الصحيح، وقال ابن دقيق: على شرط مسلم.

(٥) رواه أبو داود وفي سنده ضعف، لكن له شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن فيكون حجة، وقد أخذ به عامة أهل العلم.

(٦) البخاري الزكاة (١٣٤٠)، مسلم الزكاة (٩٧٩)، الترمذي الزكاة (٦٢٦)، النسائي الزكاة (٢٤٨٧)، أبو داود

الزكاة (١٥٥٨)، ابن ماجه الزكاة (١٧٩٣)، أحمد (٧٣/٣)، مالك الزكاة (٥٧٥)، الدارمي الزكاة (١٦٣٣).

(٧) متفق عليه.

في ذم الناس، وعلى هذا فتجب الزكاة في الدَّيْن الثابت سواء كان قرضاً أم ثمن مبيع أم أجرة أم غير ذلك، إذا كان على مليء باذل فيزكَّيه مع ماله كل سنة أو يؤخر زكاته حتى يقبضه ثم يزكَّيه لكل ما مضى من السنين، فإن كان على معسر أو مماطل يصعب استخراج منه فلا زكاة عليه فيما قبلها من السنين.

ولا تجب الزكاة فيما سوى الذهب والفضة من المعادن وإن كان أغلى منهما إلا أن يكون للتجارة فيزكَّى زكاة تجارة.

* **الرابع:** مما تجب فيه الزكاة عروض التجارة، وهي كل ما أعدده للتكسب والتجارة من عقار وحيوان وطعام وشراب وسيارات وغيرها من جميع أصناف المال، فيؤمَّمها كل سنة بما تساوي عند رأس الحول ويخرج رُبع عُشر قيمتها سواء كانت قيمتها بقدر ثمنها الذي اشتراها به أم أقل أم أكثر، ويجب على أهل البقالات والآلات وقطع الغيارات وغيرها أن يحصوها إحصاء دقيقاً شاملاً للصغير والكبير ويخرجوا زكاتها، فإن شق عليهم ذلك احتاطوا وأخرجوا ما يكون به براءة ذمهم.

ولا زكاة فيما أعدده الإنسان لحاجته من طعام وشراب وفرش ومسكن وحيوانات وسيارة ولباس سوى حلي الذهب والفضة لقول النبي ﷺ «ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة» (١) (٢).

ولا تجب الزكاة فيما أُعدَّ للأجرة من عقارات وسيارات ونحوها، وإنما تجب في أجزائها إذا كانت نقوداً وحال عليها الحول وبلغت نصاباً بنفسها أو بضمها لما عنده من جنسها. **إخواني:** أدوا زكاة أموالكم وطيبوا بها نفساً فإنها عنم لا غرم، وربح لا خسارة، وأحصوا جميع ما يلزمكم زكاته، واسألوا الله القبول لما أنفقتم والبركة لكم فيما أبقيتهم، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري الزكاة (١٣٩٥)، مسلم الزكاة (٩٨٢)، الترمذي الزكاة (٦٢٨)، النسائي الزكاة (٢٤٦٧)، أبو داود الزكاة (١٥٩٤)، ابن ماجه الزكاة (١٨١٢)، أحمد (٢/٢٤٩)، مالك الزكاة (٦١٢)، الدارمي الزكاة (١٦٣٢).

(٢) متفق عليه.

المجلس السابع عشر

في أهل الزكاة

الحمد لله الذي لا رافع لما وضع، ولا واضع لما رفع، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا قاطع لما وصل، ولا واصل لما قطع، فسبحانه من مُدَبِّرٍ عظيم، وإله حكيم رحيم، فبحكمته وقع الضرر وبرحمته نفع، أحمدته على جميع أفعاله، وأشكره على واسع إقباله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحكم ما شرع وأبدع ما صنع، وأشهد أن مُخَدِّمَ عبده ورسوله، أرسله والكفر قد علا وارتفع، وصال واجتمع، فأهبطه من عليائه وقمع، وفرَّق من شَرِّهِ ما اجتمع، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الذي نَجَّمْ نَجْمٌ شجاعته يوم الردة وطلع، وعلى عمر الذي عز به الإسلام وامتنع، وعلى عثمان المقتول ظلما وما ابتدع، وعلى علي الذي دحض الكفر بجهاده وقمع، وعلى جميع آله وأصحابه ما سجد مُصَلٍِّ وركع، وسلم تسليما.

إخواني: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاتِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

في هذه الآية الكريمة بيَّن الله تعالى مصارف الزكاة وأهلها المستحقين لها بمقتضى علمه وحكمته وعدله ورحمته، وحصرها في هؤلاء الأصناف الثمانية، وبين أن صرفها فيهم فريضة لازمة، وأن هذه القسمة صادرة عن علم الله وحكمته، فلا يجوز تَعَدِّيها وصرف الزكاة في غيرها؛ لأن الله تعالى أعلم بمصالح خلقه وأحكم في وضع الشيء في موضعه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

* فالصنف الأول والثاني: الفقراء والمساكين وهم الذين لا يجدون كفايتهم، وكفاية عائلتهم لا من نقود حاضرة، ولا من رواتب ثابتة، ولا من صناعة قائمة، ولا من غلة كافية، ولا من نفقات

على غيرهم واجبة، فهم في حاجة إلى مواساة ومعونة، قال العلماء: فيُعْطُونَ من الزكاة ما يكفيهم وعائلتهم لمدة سنة كاملة حتى يأتي حول الزكاة مرة ثانية، ويعطى الفقير لزواج يحتاج إليه ما يكفي لزواجه، وطالب العلم الفقير لشراء كتب يحتاجها، ويعطى من له راتب لا يكفيه وعائلته من الزكاة ما يُكْمِل كفايتهم لأنه ذو حاجة، وأما من كان له كفاية فلا يجوز إعطاؤه من الزكاة وإن سأها، بل الواجب نصحه وتحذيره من سؤال ما لا يحل له، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله ﷻ وليس في وجهه مُرْعة لحم»^{(١)(٢)}. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سأل الناس أموالهم تَكْثُرًا فإِنما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر»^{(٣)(٤)}.

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «إن هذا المال خَصْرَةٌ حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»^{(٥)(٦)}.

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»^{(٧)(٨)} وإن سأل الزكاة شخص وعليه علامة الغنى عنها وهو مجهول الحال جاز إعطاؤه منها بعد إعلامه أنه لا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب؛ «لأن النبي ﷺ آتاه رجلان يسألانه فقلَّب فيهما البصر فرأهما جلدتين فقال: إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا

(١) البخاري الزكاة (١٤٠٥)، مسلم الزكاة (١٠٤٠)، النسائي الزكاة (٢٥٨٥)، أحمد (١٥/٢).

(٢) متفق عليه.

(٣) مسلم الزكاة (١٠٤١)، ابن ماجه الزكاة (١٨٣٨)، أحمد (٢٣١/٢).

(٤) رواه مسلم.

(٥) البخاري الزكاة (١٤٠٣)، مسلم الزكاة (١٠٣٥)، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٦٣)، النسائي

الزكاة (٢٦٠٣)، أحمد (٥٢٧/٢)، الدارمي الرقاق (٢٧٥٠).

(٦) متفق عليه.

(٧) أحمد (١٩٣/١).

(٨) رواه أحمد، وروى نحوه الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري وقال: حسن صحيح.

لقوي مكتسب» (١) (٢).

* **الصف الثالث من أهل الزكاة: العاملون عليها وهم الذين يُنصّبهم ولاية الأمور لجباية الزكاة من أهلها وحفظها وتصريفها، فيُعطون منها بقدر عملهم وإن كانوا أغنياء، وأما الوكلاء لفرد من الناس في توزيع زكاته فليسوا من العاملين عليها فلا يستحقون منها شيئا من أجل وکالتهم فيها، لكن إن تبرعوا في تفريقها على أهلها بأمانة واجتهاد كانوا شركاء في أجرها، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «الحازن المسلم الأمين الذي يُنقذ» (٣)، أو قال: «يعطي ما أمر به كاملا موقرا طيبا به نفسه، فيدفعه إلى الذي أمر به أحد المتصدقين» (٤) (٥) وإن لم يتبرعوا بتفريقها أعطاهم صاحب المال من ماله لا من الزكاة.**

* **الصف الرابع: المؤلفّة قلوبهم وهم ضعفاء الإيمان أو من يُخشى شرهم، فيعطون من الزكاة ما يكون به تقوية إيمانهم أو دفع شرهم إذا لم يندفع إلا بإعطائهم.**

* **الصف الخامس: الرقاب وهم الأرقاء المكاتبون الذين اشتروا أنفسهم من أسيادهم، فيعطون من الزكاة ما يوفون به أسيادهم ليحرّروا بذلك أنفسهم، ويجوز أن يُشترى عبداً فيعتق وأن يُفك بها مسلم من الأسر لأن هذا داخل في عموم الرقاب.**

* **الصف السادس: الغارمون الذين يتحملون غرامة وهم نوعان:**

* **أحدهما: من تحمل حمالة لإصلاح ذات البين وإطفاء الفتنة فيعطى من الزكاة بقدر حمالته تشجيعا له على هذا العمل النبيل الذي به تأليف المسلمين وإصلاح ذات بينهم وإطفاء الفتنة وإزالة الأحقاد والتنافر، عن قبيصة الهلالي قال: «تحملت حمالة فأتيت النبي صلى الله عليه وآله أسأله فيها فقال النبي صلى الله عليه وآله "أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها". ثم قال: يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد**

(١) النسائي الزكاة (٢٥٩٨)، أبو داود الزكاة (١٦٣٣)، أحمد (٣٦٢/٥).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وقال أحمد: ما أجوده من حديث.

(٣) البخاري الزكاة (١٣٧١)، مسلم الزكاة (١٠٢٣)، النسائي الزكاة (٢٥٦٠)، أبو داود الزكاة (١٦٨٤)، أحمد (٤٠٥/٤).

(٤) البخاري الزكاة (١٣٧١)، النسائي الزكاة (٢٥٦٠)، أبو داود الزكاة (١٦٨٤)، أحمد (٤٠٥/٤).

(٥) رواه البخاري.

ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك»^(١)، وذكر تمام الحديث^(٢).

* **الثاني:** من تحمل حمالة في ذمته لنفسه وليس عنده وفاء فيُعْطَى من الزكاة ما يُؤَيِّ به دينه وإن كثر أو يوفي طالبه وإن لم يسلم للمطلوب؛ لأن تسليمه للطالب يحصل به المقصود من تبرئة ذمة المطلوب.

* **الصنف السابع:** في سبيل الله وهو الجهاد في سبيل الله الذي يُقصد به أن تكون كلمة الله هي العليا لا لحمية ولا لعصية، فيُعْطَى المجاهد بهذه النية ما يكفيه لجهاده من الزكاة، أو يُشْتَرَى بها سلاح وعتاد للمجاهدين في سبيل الله لحماية الإسلام والذود عنه وإعلاء كلمة الله سبحانه.

* **الصنف الثامن:** ابن السبيل وهو المسافر الذي انقطع به السفر ونفذ ما في يده فيُعْطَى من الزكاة ما يوصله إلى بلده وإن كان غنيا فيها ووجد من يقرضه، لكن لا يجوز أن يستصحب معه نفقة قليلة لأجل أن يأخذ من الزكاة إذا نفذت لأنه حيلة على أخذ ما لا يستحق، ولا تُدْفَع الزكاة للكافر إلا أن يكون من المؤلفة قلوبهم، ولا تدفع لغني عنها بما يكفيه من تجارة أو صناعة أو حرفة أو راتب أو مَعَلٍّ أو نفقة واجبة إلا أن يكون من العاملين عليها، أو المجاهدين في سبيل الله، أو الغارمين لإصلاح ذات البين، ولا تدفع الزكاة في إسقاط واجب سواها، فلا تدفع للضيف بدلا عن ضيافته، ولا لمن تجب نفقته من زوجة أو قريب بدلا عن نفقتهما، ويجوز دفعها للزوجة والقريب فيما سوى النفقة الواجبة، فيجوز أن يقضي بها دينا عن زوجته لا تستطيع وفاءه، وأن يقضي بها عن والديه أو أحد من أقاربه دينا لا يستطع وفاءه، ويجوز أن يدفع الزكاة لأقاربه في سداد نفقتهم إذا لم تكن واجبة عليه لكون ماله لا يتحمل الإنفاق عليهم أو نحو ذلك، ويجوز دفع الزكاة لزوجها في قضاء دين عليه ونحوه؛ وذلك لأن الله سبحانه علق استحقاق الزكاة بأوصاف عامة تشمل من ذكرنا وغيرهم، فمن اتصف بها كان مستحقا، وعلى هذا فلا يخرج أحد منها إلا بنص أو إجماع، فعن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود «أن النبي ﷺ أمر النساء بالصدقة، فسألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إنك أمرت بالصدقة وكان

(١) مسلم الزكاة (١٠٤٤)، النسائي الزكاة (٢٥٧٩)، أبو داود الزكاة (١٦٤٠)، أحمد (٤٧٧/٣)، الدرهمي الزكاة

(١٦٧٨).

(٢) رواه مسلم.

عندي حلي فأردت أن أتصدق به، فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم، فقال النبي ﷺ " صدق ابن مسعود زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم" ^(١) ^(٢). وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الصدقة على الفقير صدقة وعلى ذوي الرحم صدقة وصلة» ^(٣) ^(٤) وذوو الرحم هم القرابة قربوا أم بعدوا.

ولا يجوز أن يُسقط الدين عن الفقير وينويه عن الزكاة لأن الزكاة أخذ وإعطاء. قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣]. وقال النبي ﷺ «إن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» ^(٥)، وإسقاط الدين عن الفقير ليس أخذا ولا ردا، ولأن ما في ذمة الفقير دين غائب لا يتصرف فيه فلا يُجزئ عن مال حاضر يتصرف فيه، ولأن الدين أقل في النفس من الحاضر وأدنى، فأداؤه عنه كأداء الرديء عن الجيد، وإذا اجتهد صاحب الزكاة فدفعتها لمن يظن أنه من أهلها فتبين بخلافه فإنها تجزئه؛ لأنه اتقى الله ما استطاع ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قال رجل: والله لأتصدقن (فذكر الحديث وفيه): فوضع صدقته في يد غني، فأصبح الناس يتحدثون: تُصدق على غني، فقال: الحمد لله على غني، فأتي فقيل: أما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله» ^(٦) ^(٧) وفي رواية لمسلم: «أما صدقتك فقد تُقبِلت» ^(٨)، وعن معن بن يزيد رضي الله عنه قال: «كان أبي يُخرج دنائير يتصدق بها فوضعها عند رجل في المسجد، فجئت فأخذتها فأتيتها بها، فقال: والله ما إياك أردت فخاصمته إلى النبي ﷺ

(١) البخاري الزكاة (١٣٩٣).

(٢) متفق عليه.

(٣) الترمذي الزكاة (٦٥٨)، النسائي الزكاة (٢٥٨٢)، ابن ماجه الزكاة (١٨٤٤)، أحمد (٢١٤/٤)، الدارمي الزكاة (١٦٨٠).

(٤) رواه النسائي والترمذي وابن خزيمة والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

(٥) البخاري الزكاة (١٤٢٥)، مسلم الإيمان (١٩)، الترمذي الزكاة (٦٢٥)، النسائي الزكاة (٢٤٣٥)، أبو داود الزكاة (١٥٨٤)، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣)، أحمد (٢٣٣/١)، الدارمي الزكاة (١٦١٤).

(٦) البخاري الزكاة (١٣٥٥)، مسلم الزكاة (١٠٢٢)، النسائي الزكاة (٢٥٢٣)، أحمد (٣٢٢/٢).

(٧) متفق عليه.

(٨) البخاري الزكاة (١٣٥٥)، مسلم الزكاة (١٠٢٢)، النسائي الزكاة (٢٥٢٣)، أحمد (٣٢٢/٢).

فقال النبي ﷺ " لك ما نويت يا يزيد، ولك ما أخذت يا معن" (١) (٢).

إخواني: إن الزكاة لا تجزئ ولا تُقبَل حتى توضع في المحل الذي وضعها الله فيه، فاجتهدوا رحمكم الله فيها واحرصوا على أن تقع موقعها وتحل محلها؛ لتبرئوا ذممكم وتُطهروا أموالكم، وتُنقذوا أمر ربكم، وتُقبَل صدقاتكم، والله الموفق، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) البخاري الزكاة (١٣٥٦)، أحمد (٤٧٠/٣)، الدارمي الزكاة (١٦٣٨).

(٢) رواه البخاري.

المجلس الثامن عشر

في غزوة بدر

الحمد لله القوي المتين، القاهر الظاهر الملك الحق المبين، لا يخفى على سمعه خفيف الأنين، ولا يعزب عن بصره حركات الجنين، ذل لكبريائه جبايرة السلاطين، وقضى القضاء بحكمته وهو أحكم الحاكمين، أحمدده حمد الشاكرين، وأسأله معونة الصابرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المصطفى على العالمين، المنصور بدمر بالملائكة المنزلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا.

إخواني: في هذا الشهر المبارك نصر الله المسلمين في غزوة بدر الكبرى على أعدائهم المشركين، وسمى ذلك اليوم يوم الفرقان؛ لأنه سبحانه فرق فيه بين الحق والباطل بنصر رسوله والمؤمنين وخذل الكفار المشركين، كان ذلك في شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، وكان سبب هذه الغزوة أن النبي ﷺ بلغه أن أبا سفيان قد توجه من الشام إلى مكة بغير قريش، فدعا أصحابه إلى الخروج إليه لأخذ العير؛ لأن قريشا حُرِّبُ لرسول الله ﷺ وأصحابه ليس بينه وبينهم عهد، وقد أخرجوهم من ديارهم وأموالهم وقاموا ضد دعوتهم دعوة الحق، فكانوا مستحقين لما أراد النبي ﷺ وأصحابه بغيرهم، فخرج النبي ﷺ وأصحابه في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً على فرسين وسبعين بعيراً يعتقبونها، منهم سبعون رجلاً من المهاجرين، والباقيون من الأنصار، يقصدون العير لا يريدون الحرب، ولكن الله جمع بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ويتم ما أراد، فإن أبا سفيان علم بهم فبعث صارخاً إلى قريش يستنجدهم ليحموا عيرهم وترك الطريق المعتادة وسلك ساحل البحر فنجا.

أما قريش فإتهم لما جاءهم الصارخ خرجوا بأشرفهم عن بكرة أبيهم في نحو ألف رجل معهم مائة فرس وسبعمائة بعير ﴿بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ

مُحِيْطٌ ﴿[الأنفال: ٤٧]﴾، ومعهم القيان يغنين بهجاء المسلمين، فلما علم أبو سفيان بخروجهم بعث إليهم يخبرهم بنجاته ويشير عليهم بالرجوع وعدم الحرب، فأبوا ذلك وقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نبلغ بدرًا ونقيم فيه ثلاثًا، ننحر الجُزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً.

أما رسول الله ﷺ فإنه لما علم بخروج قريش جمع من معه من الصحابة فاستشارهم وقال: "إن الله قد وعدني إحدى الطائفتين: إما العير أو الجيش"، فقام المقداد بن الأسود وكان من المهاجرين وقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله ﷻ فوالله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك، وقام سعد بن معاذ الأنصاري سيد الأوس فقال: يا رسول الله لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا تنصرك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فاطعن حيث شئت، وصيل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالهم ما شئت، وأعطنا منها ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا فيه تبع لأمرك، فوالله لئن سرت بنا حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، ولئن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضه معك، وما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غداً، إننا لصبر عند الحرب، صدقٌ عند اللقاء، ولعل الله يُريك منا ما تقر به عينك.

فَسَّرَ النبي ﷺ لما سمع من كلام المهاجرين والأنصار ﷺ، وقال: "سيروا وأبشروا فوالله لكأني أنظر إلى مصارع القوم"، فسار النبي ﷺ بجنود الرحمن حتى نزلوا أدنى ماء من مياه بدر، فقال له الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل؟ أم منزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال النبي ﷺ «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» فقال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، فانهض بنا حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونُعَوِّرَ ما وراءه من القلوب ثم نبني عليه حوضاً فتملأه فنشرب ولا يشربون، فاستحسن النبي ﷺ هذا الرأي ونهض هذه القصة أعني نزولهم أدنى ماء من مياه بدر وإشارة الحباب ضعيفة جداً سنداً ومتناً. فنزل بالعدوة الدنيا مما يلي المدينة وقريش بالعدوة القصوى مما يلي مكة، وأنزل الله

تلك الليلة مطرا كان على المشركين وابلا شديدا ووحلا زلقا يمنعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلاً طهرهم ووطاً لهم الأرض وشد الرمل ومهد المنزل وثبت الأقدام.

وبنى المسلمون لرسول الله ﷺ عريشا على تل مُشْرِفٍ على ميدان الحرب، ثم نزل ﷺ من العريش فسوى صفوف أصحابه، ومشى في موضع المعركة، وجعل يشير بيده إلى مصارع المشركين ومحلات قتلهم، يقول: " هذا مصرع فلان إن شاء الله، هذا مصرع فلان "، فما جاوز أحد منهم موضع إشارته، ثم نظر ﷺ إلى أصحابه وإلى قريش فقال: " اللهم هذه قريش جاءت بفخرها وخيلائها وخيلها تُحَادُّكَ وتكذب رسولك، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعَبِّد، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعَبِّد "، واستنصر المسلمون بهم واستعاثوه فاستجاب لهم: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ الْمَلَائِكَةِ أَتَىٰ مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [الأنفال: ١٢-١٣].

ثم تقابل الجمعان، وحمي الوطيس واستدارت رحي الحرب، ورسول الله ﷺ في العريش، ومعه أبو بكر وسعد بن معاذ يجرسانه، فما زال ﷺ يناشد ربه ويستنصره ويستغيثه، فأغفى إغفاءً ثم خرج يقول: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبْرَةَ ﴿١٥﴾﴾ [القمر: ٤٥]، وحرّض أصحابه على القتال وقال: " والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة "، فقام عمير بن الحمام الأنصاري ويده تمرات يأكلهن فقال: يا رسول الله الجنة عرضها السماوات والأرض؟ قال النبي ﷺ " نعم "، قال: بخِ بخِ يا رسول الله ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، ثم ألقى التمرات وقاتل حتى قُتِلَ ﷺ.

وأخذ رسول الله ﷺ كفا من تراب أو حصا فرمى بها القوم فأصابت أعينهم، فما منهم واحد إلا ملأت عينه وشغلوا بالتراب في أعينهم، آية من آيات الله ﷻ فَهَزِمَ جَمْعُ الْمُشْرِكِينَ، وولوا الأدبار، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتلوا سبعين رجلا وأسروا سبعين، أما القتلى فألقِيَ منهم أربعة وعشرون رجلا من صناديدهم في قليب من قلابان بدر، منهم أبو جهل وشيبة بن ربيعة

وأخوه عتبة وابنه الوليد بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم استقبل الكعبة فدعا على هؤلاء الأربعة قال: " فأشهد بالله لقد رأيتهم صرعى قد غيّرتهم الشمس» ^(١) ^(٢) وكان يوماً حاراً، وعن أبي طلحة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ففُذِّفوا في طويٍّ من أطواء بدر خبيث مُخْبَث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعُرْصَة ثلاث ليالٍ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشدَّ عليها ثم مشى واتبعه أصحابه حتى قام على شَفَةِ الرُّكْبِي فجعل يُناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسرُّكم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟» قال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

وأما الأسرى فإن النبي صلى الله عليه وسلم استشار الصحابة فيهم، وكان سعد بن معاذ قد ساء أمرهم وقال: كانت أول وقعة أوقعها الله في المشركين وكان الإثنان في الحرب أحب إلي من استبقاء الرجال. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان - يعني قريباً له - فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها.

وقال أبو بكر رضي الله عنه هم بنو العم والعشيرة وأرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الفدية، فكان أكثرهم يفتدي بالمال من أربعة آلاف درهم إلى ألف درهم، ومنهم من افتدى بتعليم صبيان أهل المدينة الكتابة والقراءة، ومنهم من كان فداؤه إطلاق مأسور عند قريش من المسلمين، ومنهم من قتله النبي صلى الله عليه وسلم صبراً لشدة أذيته، ومنهم مَنْ مَنْ عليه بدون فداء للمصلحة.

هذه غزوة بدر انتصرت فيها فئة قليلة عن فئة كثيرة ﴿ فِئَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ [آل عمران: ١٣]، انتصرت الفئة القليلة لأنها قائمة بدين الله تقاتل لإعلاء كلمته والدفاع

(١) البخاري المغازي (٣٧٤٣)، مسلم الجهاد والسير (١٧٩٤)، النسائي الطهارة (٣٠٧)، أحمد (٤١٧/١).

(٢) رواه البخاري.

عن دينه فنصرها الله ﷻ فقوموا بدينكم أيها المسلمون لِيُتَنَصَّرُوا على أعدائكم، واصبروا وربطوا
واتقوا الله لعلكم تفلحون.

اللهم انصرنا بالإسلام واجعلنا من أنصاره والدعاة إليه، وثبتنا عليه إلى أن نلقاك، وصلى الله
وسلم على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين.

المجلس التاسع عشر

في غزوة فتح مكة شرفها الله ﷺ

الحمد لله خلق كل شيء فقدره، وعلم مورد كل مخلوق ومصدره، وأثبت في أم الكتاب ما أَرَادَهُ وَسَطَّرَهُ، فلا مُؤَخَّرَ لما قَدَّمَ ولا مُقَدِّمَ لما أَخَّرَهُ، ولا ناصرَ لمن خذله ولا خاذلَ لمن نصره، تفرَّدَ بالملك والبقاء، والعزة والكبرياء، فمن نازعه ذلك أحقره، الواحد الأحد الرب الصمد، فلا شريك له فيما أبدعه وفطره، الحي القيوم فما أقومه بشؤون خلقه وأبصره، العليم الخبير فلا يخفى عليه ما أسرَّه العبد وأضمره، أحمده على ما أُوِّلى من فضله وَيَسَّرَهُ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قَبِلَ توبة العاصي فعفا عن ذنبه وغفره، وأشهد أن مُجَدِّداً عبده ورسوله الذي أوضح به سبيل الهداية ونَوَّرَهُ، وأزال به ظلمات الشرك وَقَتَّرَهُ، وفتح عليه مكة فأزال الأصنام من البيت وطَهَّرَهُ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام البررة، وعلى التابعين لهم بإحسان ما بلغ القمر بدره وسرره، وسلم تسليمًا.

إخواني: كما كان في هذا الشهر المبارك غزوة بدر التي انتصر فيها الإسلام وعلا مناره، كان فيه أيضاً غزوة فتح مكة البلد الأمين في السنة الثامنة من الهجرة، فأنقذه الله بهذا الفتح العظيم من الشرك الأثيم، وصار بلداً إسلامياً حل فيه التوحيد عن الشرك، والإيمان عن الكفر، والإسلام عن الاستكبار، أُعْلِنَتْ فيه عبادة الواحد القهار، وكُسِرَتْ فيه أوثان الشرك فما لها بعد ذلك انجبار، وسبب هذا الفتح العظيم أنه لما تم الصلح بين النبي ﷺ وقريش في الحديبية في السنة السادسة، كان مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَلَّ، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش فعل، فدخلت خِزَاعَةُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وكان بين القبيلتين دماء في الجاهلية، فانتهزت بنو بكر هذه الهدنة فأغارت على خزاعة وهم آمنون، وأعانت قريش حلفاءها بني بكر بالرجال والسلاح سرا على خزاعة حلفاء النبي ﷺ فقدم جماعة منهم إلى النبي ﷺ فأخبروه بما صنعت بنو بكر وإعانة قريش لها، أما قريش فسقطت في أيديهم ورأوا أنهم بفعلهم هذا نقضوا

عهدهم، فأرسلوا زعيمهم أبا سفيان إلى رسول الله ﷺ ليشد العقد ويزيد في المدة، فكلم النبي ﷺ في ذلك، فلم يردَّ عليه، ثم كلم أبا بكر وعمر ليشفعا له إلى رسول الله ﷺ فلم يُفْلح، ثم كلم علي بن أبي طالب فلم يفلح أيضا، فقال له: ما ترى يا أبا الحسن؟ قال: ما أرى شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس، قال: أترى ذلك مُعْتَبِرا عني شيئا؟ قال: لا والله، ولكن ما أجد لك غيره. ففعل أبو سفيان، ثم رجع إلى مكة فقالت له قريش: ما وراءك؟ قال: أتيت مُحمَّدا فكلمته فوالله ما ردَّ علي شيئا، ثم أتيت ابن أبي قحافة وابن الخطاب فلم أجد خيرا، ثم أتيت عليا فأشار علي بشيء صنعته أجزت بين الناس، قالوا: فهل أجاز ذلك مُحمَّد؟ قال: لا. قالوا: ويحك، ما زاد الرجل (يعنون عليا) أن لعب بك.

وأما النبي ﷺ فقد أمر أصحابه بالتَّجَهُز للقتال، وأخبرهم بما يريد، واستنفر مَنْ حوله من القبائل وقال: «اللَّهُمَّ خذ الأخبار والعيون عن قريش حتى نَبَعْتَهَا فِي بلادها»، ثم خرج من المدينة بنحو عشرة آلاف مقاتل، وولَّى على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ولما كان في أثناء الطريق لقيه في الجُحْفَة عمه العباس بأهله وعياله مهاجرا مسلما، وفي مكان يسمى الأبواء لقيه ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابن عمته عبد الله بن أبي أمية، وكانا من أشد أعدائه فأسلما فقبِلَ منهما، وقال في أبي سفيان: "أرجو أن يكون خَلْفًا من حمزة".

ولما بلغ ﷺ مكانا يسمى مَرَّ الظُّهْران قريبا من مكة أمر الجيش فأوقدوا عشرة آلاف نار، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب ﷺ وركب العباس بغلة النبي ﷺ ليلتمس أحدا يُبَلِّغ قريشا ليخرجوا إلى النبي ﷺ فيطلبوا الأمان منه ولا يحصل القتال في مكة البلد الأمين، فبينما هو يسير سمع كلام أبي سفيان يقول لُبْدِيل بن ورقاء: ما رأيت كالليلة نيرانا قط، فقال بُدَيْل: هذه خزاعة، فقال أبو سفيان: خزاعة أقل من ذلك وأذل، فعرف العباس صوت أبي سفيان فناداه فقال: ما لك أبا الفضل؟ قال: هذا رسول الله ﷺ في الناس، قال: فما الحيلة؟ قال العباس: اركب حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأسأمنه لك، فأتى به النبي ﷺ فقال: "ويحك يا أبا سفيان أما آن أن تعلم أن لا إله إلا الله؟" فقال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! لقد علمت أن لو كان مع الله غيره لأغنى عني. قال: "أما آن لك أن تعلم أني رسول الله؟" فَتَلَكَّأ أبو سفيان، فقال له العباس: ويحك أَسَلِمَ فأسَلِمَ وشهد شهادة الحق.

ثم أمر النبي ﷺ العباس أن يوقف أبا سفيان بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى يمر به المسلمون، فمر به القبائل على راياتها ما تمر به قبيلة إلا سأل عنها العباس فيخبره فيقول: ما لي ولها؟ حتى أقبلت كتيبة لم يرَ مثلها فقال: من هذه؟ قال العباس: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فلما حاذاه سعد قال: أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلُّ الكعبة، ثم جاءت كتيبة وهي أقلُّ الكتائب وأجلُّها فيهم رسولُ الله ﷺ وأصحابه ورايته مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان أخبره بما قال سعد فقال النبي ﷺ: «كذب سعد ولكن هذا يوم يُعظَّم اللهُ فيه الكعبة ويوم تُكسى فيه الكعبة»^(١) ^(٢) ثم أمر رسول الله ﷺ أن تُؤخذ الراية من سعد وتُدفع إلى ابنه قيس، ورأى أنها لم تخرج عن سعد خروجا كاملا إذا صارت على ابنه.

ثم مضى رسول الله ﷺ وأمر أن تُركز رايته بالحجون، ثم دخل مكة فاتحا مُؤزرا منصورا قد طأطأ رأسه تواضعا لله ﷻ حتى إن جبهته تكاد تمس رحله وهو يقرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وَيُرْجَعُهَا، وَبَعَثَ ﷺ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنَّبَتَيْنِ خَالِدَ بْنِ الْوَلِيدِ وَعَلَى الْآخَرَى الزَّبِيرَ بْنَ الْعَوَامِ وَقَالَ: " مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ وَأَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ "، ثم مضى رسول الله ﷺ حتى أتى المسجد الحرام فطاف به على راحلته، وكان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم، فجعل ﷺ يطعنها بقوس معه ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُهُ﴾ [سبأ: ٤٩]^(٣) والأصنام تتساقط على وجوهها، ثم دخل ﷺ الكعبة فإذا فيها صور فأمر بها فمُحِيت ثم صلى فيها، فلما فرغ دار فيها وكبر في نواحيها ووجد الله ﷻ ثم وقف على باب الكعبة وقريش تحته ينتظرون ما يفعل، فأخذ بعضادتي الباب وقال: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتَعْظُمُهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسِ

(١) البخاري المغازي (٤٠٣٠).

(٢) رواه البخاري من قوله: ثم أمر النبي العباس.

(٣) رواه مسلم.

من آدم وآدم من تراب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: "فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، اذهبوا فأنتم الطلقاء" (١).

ولما كان اليوم الثاني من الفتح قام النبي ﷺ خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن الله حرم مكة ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب» (٢) (٣) «وكانت الساعة التي أحلت فيها لرسول الله ﷺ من طلوع الشمس إلى صلاة العصر يوم الفتح» (٤) ثم «أقام ﷺ تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ولم يصم بقية الشهر» (٥) (٦). لأنه لم ينو قطع السفر، أقام ذلك لتوطيد التوحيد ودعائم الإسلام وتثبيت الإيمان ومبايعة الناس، وفي الصحيح: عن مجاشع قال: «أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح ليبايعه على الهجرة فقال ﷺ ذهب أهل الهجرة بما فيها ولكن أبايه على الإسلام والإيمان والجهاد» (٧).

وبهذا الفتح المبين تم نصر الله ودخل الناس في دين الله أفواجا، وعاد بلد الله بلدا إسلاميا

(١) هذه القصة من قوله: ثم وقف على باب الكعبة من زاد المعاد وغيره من كتب السيرة. وكلمة الطلقاء وردت في صحيح البخاري في غزوة الطائف، قال في فتح الباري: والمراد بالطلاق - جمع طليق - من حصل من النبي المرء عليه يوم فتح مكة من قريش وأتباعهم.

(٢) البخاري العلم (١٠٤)، مسلم الحج (١٣٥٤)، الترمذي الحج (٨٠٩)، النسائي مناسك الحج (٢٨٧٦)، أحمد (٣١/٤).

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد.

(٥) البخاري المغازي (٤٠٤٧)، الترمذي الجمعة (٥٤٩)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٧٥).

(٦) رواه البخاري مفردا.

(٧) البخاري المغازي (٤٠٥٤)، مسلم الإمارة (١٨٦٣)، أحمد (٤٦٨/٣).

أعلن فيه بتوحيد الله وتصديق رسوله وتحكيم كتابه، وصارت الدولة فيه للمسلمين واندحر الشرك وتبدد ظلامه، والله الحمد، وذلك من فضل الله على عباده إلى يوم القيامة.

اللهم ارزقنا شكر هذه النعمة العظيمة، وحقّق النصر للأمة الإسلامية كل وقت في كل مكان، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس العشرون

في أسباب النصر الحقيقية

الحمد لله العظيم في قَدْرِهِ، العزيز في قَهْرِهِ، العالم بحال العبد في سره وجهره، الجائد على المجاهد بنصره، وعلى المتواضع من أجله برفعه، يسمع صريف القلم عند خط سطره، ويرى النمل يدب في فيافي قفره، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره، أحمده على القضاء حلوه ومره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقامةً لذكره، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله المبعوث بالبر إلى الخلق في بره وبحره، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر السابق بما قر من الإيمان في صدره، وعلى عمر معز الإسلام بحزمه وقهره، وعلى عثمان ذي النورين الصابر من أمره على مره، وعلى علي ابن عمه وصهره، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما جاد السحاب بقطره، وسلم تسليما.

إخواني: لقد نصر الله المؤمنين في مواطن كثيرة في بدر والأحزاب والفتح وحنين وغيرها، نصرهم الله وفاء بوعده: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ] ﴿٥٦﴾ [غافر: ٥١-٥٢]، نصرهم الله لأنهم قائمون بدينه وهو الظاهر على الأديان كلها، فمن تمسك به فهو ظاهر على الأمم كلها ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]، نصرهم الله تعالى لأنهم قاموا بأسباب النصر الحقيقية المادية منها والمعنوية، فكان عندهم من العزم ما برزوا به على أعدائهم أخذًا بتوجيه الله تعالى لهم وتمشيا مع هديه وتبنيته إياهم ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٣٩]، ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤٠]، ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُونَ كَمَا تَأْمُونُونَ

وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ [النساء: ١٠٤]، ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرْكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

فكانوا بهذه التقوية والتثبيت يسيرون بقوة وعزم وجد وأخذوا بكل نصيب من القوة امتثالا لقول ربهم سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، من القوة النفسية الباطنة والقوة العسكرية الظاهرة نصرهم الله تعالى لأنهم قاموا بنصر دينه ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤٠-٤١]، ففي هاتين الآيتين الكرمتين وعد الله بالنصر من ينصره وعدا مؤكدا بمؤكدات لفظية ومعنوية، أما المؤكدات اللفظية فهي القسم المقدر، لأن التقدير: والله لينصرن الله من ينصره، وكذلك اللام والنون في لينصرن كلاهما يفيد التوكيد، وأما التوكيد المعنوي ففي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، فهو سبحانه قوي لا يضعف وعزيز لا يذل وكل قوة وعزة تُضادُه فستكون ذلا وضعفا، وفي قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، تثبت للمؤمن عندما يستبعد النصر في نظره لبعد أسبابه عنده، فإن عواقب الأمور لله وحده يُعَيِّرُ سبحانه ما شاء حسب ما تقتضيه حكمته.

وفي هاتين الآيتين بيان الأوصاف التي يُسْتَحَقُّ بها النصر، وهي أوصاف يتحلى بها المؤمن بعد التمكين في الأرض، فلا يُغريه هذا التمكين بالأشْر والبطر والعلو والفساد، وإنما يزيده قوة في دين الله وتمسكا به.

* الوصف الأول: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا﴾ [الحج: ٤١]، والتمكين في الأرض لا يكون إلا بعد تحقيق عبادة الله وحده كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، فإذا قام العبد بعبادة الله مخلصا له في أقواله وأفعاله لا يريد بها إلا وجه الله والدار الآخرة، ولا يريد بها جاها ولا ثناء من الناس ولا مالا ولا شيئا من الدنيا، واستمر على هذه العبادة المخلصة في السراء والضراء والشدة والرخاء مكنَّ الله له في

الأرض، وإذن فالتمكين في الأرض يستلزم وصفا سابقا عليه وهو عبادة الله وحده لا شريك له وبعد التمكين والإخلاص يكون.

* الوصف الثاني: وهو إقامة الصلاة بأن يؤدي الصلاة على الوجه المطلوب منه قائما بشروطها وأركانها وواجباتها، وتمام ذلك القيام بمستحباتها، فيحسن الطهور، ويقوم الركوع والسجود والقيام والقعود، ويحافظ على الوقت وعلى الجمعة والجماعات، ويحافظ على الخشوع وهو حضور القلب وسكون الجوارح، فإن الخشوع روح الصلاة ولبها، والصلاة بدون خشوع كالجسم بدون روح، وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرجل لينصرف وما كتبت له إلا عشر صلواته تُسَعِّها تُمنها سُبْعها سُدسها حُمسها رُبْعها ثُلثها نصفها» (١) (٢).

الوصف الثالث: إيتاء الزكاة وآتوا الزكاة بأن يعطوها إلى مستحقيها طيبة بما نفوسهم كاملة بدون نقص يتغون بذلك فضلا ورضوانا، فيكون بذلك أنفسهم، ويظهرون أموالهم، وينفعون إخوانهم من الفقراء والمساكين وغيرهم من ذوي الحاجات، وقد سبق بيان مستحقي الزكاة الواجبة في المجلس السابع عشر.

الوصف الرابع: الأمر بالمعروف وأمرؤا بالمعروف والمعروف: كل ما أمر الله به ورسوله من واجبات ومستحبات، يأمرون بذلك إحياء لشريعة الله وإصلاحا لعباده واستجلابا لرحمته ورضوانه، فالؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، فكما أن المؤمن يجب لنفسه أن يكون قائما بطاعة ربه فكذلك يجب أن يجب لإخوانه من القيام بطاعة الله ما يجب لنفسه. والأمر بالمعروف عن إيمان وتصديق أن يكون قائما بما أمر به عن إيمان واقتناع بفائدته وثمراته العاجلة والآجلة.

* الوصف الخامس: النهي عن المنكر ﴿وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١]، والمنكر كل ما نهى الله عنه ورسوله من كبائر الذنوب وصغائرها مما يتعلق بالعبادة أو الأخلاق أو المعاملة، ينهون عن ذلك كله صيانة لدين الله وحماية لعباده واتقاء لأسباب الفساد والعقوبة.

(١) أبو داود الصلاة (٧٩٦)، أحمد (٣٢١/٤).

(٢) رواه أبو داود والنسائي، وقال العراقي: إسناده صحيح.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعامتان قويتان لبقاء الأمة وعزتها ووحدها حتى لا تتفرق بها الأهواء وتتشتت بها المسالك، ولذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الدين على كل مسلم ومسلمة مع القدرة ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥]، فلولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتفرقت الناس شيعاً، وتمزقوا كل ممزق كل حزب بما لديهم فرحون، وبه فضّلت هذه الأمة على غيرها ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وبتركه ﴿لِعَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨-٧٩]، فهذه الأوصاف الخمسة متى تحققت مع القيام بما أرشد الله إليه من الحزم والعزيمة وإعداد القوة الحسية حصل النصر بإذن الله ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦]، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴿[الروم: ٦-٧]، فيحصل للأمة من نصر الله ما لم يخطر لهم على بال، وإن المؤمن الواثق بوعد الله ليعلم أن الأسباب المادية مهما قويت فليست بشيء بالنسبة إلى قوة الله الذي خلقها وأوجدها، افتخرت عاد بقوتها وقالوا: من أشد منا قوة؟ فقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الفرقان: ١٥]، فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحساتٍ لئذيقهم عذاب الجزى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أحرزى وهم لا ينصرون ﴿[فصلت: ١٥-١٦]، وافتخر فرعون بملك مصر وأنهاره التي تجري من تحته فأغرقه الله بالماء الذي كان يفتخر بمثله، وأورث ملكه موسى وقومه وهو الذي في نظر فرعون مهين ولا يكاد يُبين. وافتخرت قريش بعظمتها وجبروتها فخرجوا من ديارهم برؤسائهم وزعمائهم بطرا ورتاء الناس يقولون: لا نرجع حتى نقدم بدرنا فننحر فيها الجزور ونسقي الخمر وتعرّف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً، فهزموا على يد النبي ﷺ وأصحابه شر هزيمة وسحبت جثثهم جيئاً في قليب بدر، وصاروا حديث الناس في هذا العصر.

لو أخذنا بأسباب النصر وقمنا بواجب ديننا وكنا قدوة لا مقتدين ومتبوعين لا أتباعا لغيرنا، وأخذنا بوسائل الحرب العصرية بصدق وإخلاص لنصرنا الله على أعدائنا كما نصر أسلافنا، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

اللهم هبّ لنا من أسباب النصر ما به نصرنا وعزتنا وكرامتنا ورفعنا الإسلام وذل الكفر والعصيان، إنك جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الحادي والعشرون

في فضل العشر الأخير من رمضان

الحمد لله المتفرد بالجلال والبقاء، والعظمة والكبرياء، والعز الذي لا يرام، الرب الصمد، الملك الذي لا يحتاج إلى أحد، العلي عن مداناة الأوهام، الجليل العظيم الذي لا تدركه العقول والأفهام، الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، فكل من سواه مفتقر إليه على الدوام، وفق من شاء فأمن به واستقام، ثم وجد لذة مناجاة مولاه فهجر لذيد المنام، وصحب رفقة تتجاني جنوبهم عن المضاجع رغبة في المقام، فلو رأيتهم وقد سارت قوافلهم في حندس الظلام، فواحد يسأل العفو عن زلته، وآخر يشكو ما يجد من لوعته، وآخر شغله ذكره عن مسألته، فسبحان من أيقظهم والناس نيام، وتبارك الذي غفر وعفا، وستر وكفى، وأسبل على الكافة جميع الإنعام، أحده على نعمة الجسام، وأشكره وأسأله حفظ نعمة الإسلام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عز من اعتر به فلا يضام، وذل من تكبر عن طاعته ولقي الآثام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بيّن الحلال والحرام، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الصديق، الذي هو في الغار خير رفيق، وعلى عمر بن الخطاب، الذي وُفق للصواب، وعلى عثمان مصابر البلا، ومن نال الشهادة العظمى من أيدي العدا، وعلى ابن عمه علي بن أبي طالب وعلى جميع الصحبة والتابعين لهم بإحسان ما غاب في الأفق غارب، وسلم تسليمًا.

إخواني: لقد نزل بكم عشر رمضان الأخيرة فيها الخيرات والأجور الكثيرة، فيها الفضائل المشهورة والخصائص العظيمة:

* فمن خصائصها أن النبي ﷺ كان يجتهد بالعمل فيها أكثر من غيرها، فعن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»^{(١) (١)} وعنهما: قالت: «كان

(١) مسلم الاعتكاف (١١٧٥)، الترمذي الصوم (٧٩٦)، ابن ماجه الصيام (١٧٦٧)، أحمد (٢٥٦/٦).

النبي ﷺ إذا دخل العَشرُ شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله»^(٢) ^(٣) وعنها قالت: «كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر شمر وشد المئزر»^(٤) ^(٥).

ففي هذه الأحاديث دليل على فضيلة هذه العشر؛ لأن النبي ﷺ كان يجتهد فيه أكثر مما يجتهد في غيره، وهذا شامل للاجتهاد في جميع أنواع العبادة من صلاة وقرآن وذكر وصدقة وغيرها، ولأن النبي ﷺ كان يحيي ليله بالقيام والقراءة والذكر بقلبه ولسانه وجوارحه لشرف هذه الليالي وطلباً لليلة القدر التي من قامها إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وظاهر هذا الحديث أنه ﷺ يحيي الليل كله في عبادة ربه من الذكر والقراءة والصلاة والاستعداد لذلك والسحور وغيرها، وبهذا يحصل الجمع بينه وبين ما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما أعلمه ﷺ قام ليلة حتى الصباح؛ لأن إحياء الليل الثابت في العشر يكون بالقيام وغيره من أنواع العبادة، والذي نفته إحياء الليل بالقيام فقط، والله أعلم.

ومما يدل على فضيلة العشر من هذه الأحاديث أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله فيه للصلاة والذكر حرصاً على اغتنام هذه الليالي المباركة بما هي جديرة به من العبادة، فإنها فرصة العمر وغنيمة لمن وفقه الله ﷻ فلا ينبغي للمؤمن العاقل أن يفوت هذه الفرصة الثمينة على نفسه وأهله، فما هي إلا ليال معدودة ربما يدرك الإنسان فيها نفحة من نفحات المولى فتكون سعادة له في الدنيا والآخرة، وإنه لمن الحرمان العظيم والخسارة الفادحة أن ترى كثيراً من المسلمين يُمضون هذه الأوقات الثمينة فيما لا ينفعهم، يسهرون معظم الليل في اللهو الباطل، فإذا جاء وقت القيام ناموا عنه وفوتوا على أنفسهم خيراً كثيراً لعلمهم لا يدركونه بعد عامهم هذا أبداً، وهذا من تلاعب الشيطان بهم ومكره بهم وصدده إياهم عن سبيل الله وإغوائه لهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ

(١) رواه مسلم.

(٢) البخاري صلاة التراويح (١٩٢٠)، مسلم الاعتكاف (١١٧٤)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٣٩)، أبو داود الصلاة (١٣٧٦)، ابن ماجه الصيام (١٧٦٨)، أحمد (٦/٦٨١).

(٣) متفق عليه.

(٤) أحمد (٦/١٤٦).

(٥) رواه الإمام أحمد.

عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿٤٢﴾ [الحجر: ٤٢]، والعاقِل لا يتخذ الشيطان وليا من دون الله مع علمه بعداوته له؛ فإن ذلك مناف للعقل والإيمان قال الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦١﴾﴾ [فاطر: ٦].

* ومن خصائص هذه العشر أن النبي ﷺ كان يعتكف فيها، والاعتكاف: لزوم المسجد للتفرغ لطاعة الله ﷻ وهو من السنن الثابتة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال الله ﷻ ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، واعتكف النبي ﷺ وأصحابه معه وبعده، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أن النبي ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط، ثم قال: "إني اعتكف العشر الأول ألتمس هذه الليلة ثم أعتكف العشر الأوسط"، ثم أتيت فقيلي لي: "إنها في العشر الأواخر فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف»^(١) (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ﷻ ثم اعتكف أزواجه من بعده»^(٣) (٤) وعن أبيها أيضا قالت: «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما»^(٥) (٦) وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان فلم يعتكف عاما، فلما كان العام

(١) مسلم الصيام (١١٦٧).

(٢) رواه مسلم.

(٣) البخاري الاعتكاف (١٩٢٢)، مسلم الاعتكاف (١١٧٢)، الترمذي الصوم (٧٩٠)، أبو داود الصوم (٢٤٦٢)، أحمد (٩٢/٦).

(٤) متفق عليه.

(٥) البخاري الاعتكاف (١٩٣٩)، أبو داود الصوم (٢٤٦٦)، ابن ماجه الصيام (١٧٦٩)، أحمد (٣٥٥/٢)، الدارمي الصوم (١٧٧٩).

(٦) رواه البخاري.

المقبل اعتكف عشرين»^(١) ^(٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه فاستأذنته عائشة فأذن لها فضربت لها خباء، وسألت حفصة عائشة أن تستأذن لها ففعلت فضربت خباء، فلما رأت ذلك زينب أمرت بخباء، فضرب لها، فلما رأى النبي ﷺ الأخبية قال: "ما هذا؟" قالوا: بناء عائشة وحفصة وزينب. فقال النبي ﷺ "ألير أردن بهذا؟ انزعوها فلا أراها"، فزِعَتْ وترك الاعتكاف في رمضان حتى اعتكف في العشر الأول من شوال»^(٣) ^(٤) وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله: لا أعلم عن أحد من العلماء خلافا أن الاعتكاف مسنون.

والمقصود بالاعتكاف: انقطاع الإنسان عن الناس ليتفرغ لطاعة الله في مسجد من مساجده طلبا لفضله وثوابه وإدراك ليلة القدر، ولذلك ينبغي للمعتكف أن يشتغل بالذكر والقراءة والصلاة والعبادة، وأن يتجنب ما لا يعنيه من حديث الدنيا، ولا بأس أن يتحدث قليلا بحديث مباح مع أهله أو غيرهم لمصلحة، لحديث صفية أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ معتكفا فأتته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت لأنقلب (أي: لأنصرف إلى بيتي) فقام النبي ﷺ معي»^(٥) (الحديث)^(٦).

ويحرم على المعتكف الجماع ومقدماته من التقبيل واللمس لشهوة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وأما خروجه من المسجد فإن كان ببعض بدنه فلا بأس به لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يخرج رأسه من المسجد وهو معتكف فأغسله وأنا حائض»^(٧) وفي رواية: «كانت ترجل رأس النبي ﷺ وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في

(١) الترمذي الصوم (٨٠٣)، أحمد (١٠٤/٣).

(٢) رواه أحمد والترمذي وصححه.

(٣) البخاري الاعتكاف (١٩٤٠)، مسلم الاعتكاف (١١٧٣)، الترمذي الصوم (٧٩١)، النسائي المساجد (٧٠٩)، أبو داود الصوم (٢٤٦٤)، ابن ماجه الصيام (١٧٧١)، أحمد (٨٤/٦)، مالك الاعتكاف (٦٩٩).

(٤) من البخاري ومسلم في روايات.

(٥) البخاري بدء الخلق (٣١٠٧)، مسلم السلام (٢١٧٥)، أبو داود الصوم (٢٤٧٠)، ابن ماجه الصيام (١٧٧٩)، أحمد (٣٣٧/٦)، الدارمي الصوم (١٧٨٠).

(٦) متفق عليه.

(٧) رواه البخاري.

حجرتها يناولها رأسه»^(١)، وإن كان خروجه بجميع بدنه فهو ثلاثة أقسام:

* **الأول: الخروج لأمر لا بد منه طبعاً أو شرعاً كقضاء حاجة البول والغائط والوضوء الواجب والغسل الواجب لجنابة أو غيرها والأكل والشرب، فهذا جائز إذا لم يمكن فعله في المسجد، فإن أمكن فعله في المسجد فلا، مثل أن يكون في المسجد حمام يمكنه أن يقضي حاجته فيه وأن يغتسل فيه، أو يكون له من يأتيه بالأكل والشرب فلا يخرج حينئذ لعدم الحاجة إليه.**

* **الثاني: الخروج لأمر طاعة لا تجب عليه كعبادة مريض وشهود جنازة ونحو ذلك، فلا يفعله إلا أن يشترط ذلك في ابتداء اعتكافه، مثل أن يكون عنده مريض يجب أن يعود أو يخشى من موته، فيشترط في ابتداء اعتكافه خروجه لذلك فلا بأس به.**

* **الثالث: الخروج لأمر ينافي الاعتكاف كالخروج للبيع والشراء وجماع أهله ومباشرتهم ونحو ذلك، فلا يفعله لا بشرط ولا بغير شرط؛ لأنه يناقض الاعتكاف وينافي المقصود منه.**

* **ومن خصائص هذه العشر أن فيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فاعرفوا رحمكم الله لهذه العشر فضلها، ولا تضيّعوها فوقتها ثمين وخيرها ظاهر مبين.**

اللهم وِفّقنا لما فيه صلاح ديننا ودينانا، وأحسن عاقبتنا وأكرم مثوانا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين.

المجلس الثاني والعشرون

في الاجتهاد في العشر الأواخر وليلة القدر

الحمد لله عالم السر والجهر، وقاصم الجبابرة بالعز والقهر، مُحصي قطرات الماء وهو يجري في النهر، وباعث ظلام الليل ينسخه نور الفجر، موثّر الثواب للعابدين ومكّم الأجر، العالم بخائنة الأعين وخافية الصدر، شمل برزقه جميع خلقه فلم يترك النمل في الرمل ولا الفرخ في الوكر، أغنى وأفقر وبحكمته وقوع الغنى والفقر، وفضّل بعض المخلوقات على بعض حتى أوقات الدهر، ليلة القدر خير من ألف شهر، أحمده حمدا لا منتهى لعدده، وأشكره شكرا يستجلب المزيد من مدده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص في معتقده، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي نبع الماء من بين أصابع يده ﷺ وعلى أبي بكر صاحبه في رخائه وشدائده، وعلى عمر بن الخطاب كهف الإسلام وعضده، وعلى عثمان جامع كتاب الله وموحّده، وعلى علي كافي الحروب وشجعانها بمفرده، وعلى آله وأصحابه المحسن كل منهم في عمله ومقصده، وسلم تسليمًا.

إخواني: في هذه العشر المباركة ليلة القدر التي شرفها الله على غيرها ومنّ على هذه الأمة بجزيل فضلها وخيرها، أشاد الله بفضلها في كتابه المبين فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ [الدخان: ٣-٨]، وصفها الله سبحانه بأنها مباركة لكثرة خيرها وبركتها وفضلها، ومن بركتها أن هذا القرآن المبارك أنزل فيها، ووصفها سبحانه بأنه يفرق فيها كل أمر حكيم، يعني يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتّبة ما هو كائن من أمر الله سبحانه في تلك السنة من الأرزاق والآجال والخير والشر وغير ذلك من كل أمر حكيم من أوامر الله المحكمة المتقنة، التي ليس فيها خلل ولا نقص ولا سفه ولا باطل ذلك تقدير

العزیز العلیم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ [القدر: ١-٥].
 القدر بمعنى الشرف والتعظيم، أو بمعنى التقدير والقضاء؛ لأن ليلة القدر شريفة عظيمة يقدر الله فيها ما يكون في السنة ويقضيه من أموره الحكيمة، ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ [القدر: ٣]. يعني في الفضل والشرف وكثرة الثواب والأجر، ولذلك كان مَنْ قامها إيماناً واحتساباً عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه، ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا ﴿٤﴾﴾ [القدر: ٤].
 الملائكة عباد من عباد الله قائمون بعبادته ليلاً ونهاراً لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٦﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠]، يتنزلون في ليلة القدر إلى الأرض بالخير والبركة والرحمة، (والروح) هو جبريل عليه السلام خصه بالذكر لشرفه وفضله.
 ﴿سَلَامٌ هِيَ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ٥] يعني أن ليلة القدر ليلة سلام للمؤمنين من كل مخوف لكثرة من يُعْتَق فيها من النار، ويسلم من عذابها، ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ٥] يعني أن ليلة القدر تنتهي بطلوع الفجر لانتهاه عمل الليل به.

وفي هذه السورة الكريمة فضائل متعددة ليلية القدر:

- * **الفضيلة الأولى:** أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.
- * **الفضيلة الثانية:** ما يدل عليه الاستفهام من التفخيم والتعظيم في قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ٢].
- * **الفضيلة الثالثة:** أنها خير من ألف شهر.
- * **الفضيلة الرابعة:** أن الملائكة تنزل فيها وهم لا ينزلون إلا بالخير والبركة والرحمة.
- * **الفضيلة الخامسة:** أنها سلام لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله عز وجل.

* **الفضيلة السادسة:** أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تُتلى إلى يوم القيامة.

* **ومن فضائل ليلة القدر ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قام ليلة القدر**

إيماننا واحتساباً عُفِّرَ له ما تقدم من ذنبه»^(١) ^(٢) فقولوه: (إيماناً واحتساباً) يعني إيماناً بالله وبما أعد الله من الثواب للقائمين فيها، واحتساباً للأجر وطلب الثواب، وهذا حاصل لمن علم بما ومن لم يعلم؛ لأن النبي ﷺ لم يشترط العلم بما في حصول هذا الأجر.

وليلة القدر في رمضان؛ لأن الله أنزل القرآن فيها، وقد أخبر أن إنزاله في شهر رمضان، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فبهذا تعيَّن أن تكون ليلة القدر في رمضان، وهي موجودة في الأمم وفي هذه الأمة إلى يوم القيامة لما روي «عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر أهي في رمضان أم في غيره؟ قال: " بل هي في رمضان ". قال: تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قُبِضُوا رُفِعَتْ أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: " بل هي إلى يوم القيامة»^(٣) (الحديث)^(٤) لكن فضلها وأجرها يختص والله أعلم بهذه الأمة كما اختصت هذه الأمة بفضيلة يوم الجمعة وغيرها من الفضائل، والله الحمد.

وليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان لقول النبي ﷺ «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنَ رَمَضَانَ»^(٥) وهي في الأوتار أقرب من الأشفاق لقول النبي ﷺ «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنَ رَمَضَانَ»^(٧) ^(٨) وهي في السبع الأواخر أقرب؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما «أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال النبي ﷺ "أرى رؤياكم قد تواطأت (يعني اتفقت) في السبع الأواخر، فمن كان متحرِّبها

(١) البخاري الصوم (١٨٠٢)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٠)، الترمذي الصوم (٦٨٣)، النسائي الصيام (٢٢٠٢)، أبو داود الصلاة (١٣٧٢)، أحمد (٢٤١/٢)، الدارمي الصوم (١٧٧٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) أحمد (١٧١/٥).

(٤) رواه أحمد والنسائي والحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ونقل عن الذهبي أنه أقره، والله أعلم.

(٥) البخاري صلاة التراويح (١٩١٣)، مسلم الصيام (١١٦٩)، الترمذي الصوم (٧٩٢)، أحمد (٢٠٤/٦).

(٦) متفق عليه.

(٧) البخاري صلاة التراويح (١٩١٣)، مسلم الصيام (١١٦٩)، الترمذي الصوم (٧٩٢)، أحمد (٢٠٤/٦).

(٨) رواه البخاري.

فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ»^(١) ^(٢) ولمسلم عنه: أن النبي ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر (يعني ليلة القدر)، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يُغْلَبَنَّ على السبع البواقي، وأقرب أوتار السبع الأواخر ليلة سبع وعشرين لحديث أبي بن كعب ؓ أنه قال: والله إني لأعلم أي ليلة هي، هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة سبع وعشرين»^(٣) ^(٤) ولا تختص ليلة القدر بليلة معينة في جميع الأعوام، بل تنتقل فتكون في عام ليلة سبع وعشرين مثلا، وفي عام آخر ليلة خمس وعشرين تبعا لمشيئة الله وحكمته، ويدل على ذلك قوله ﷺ «التمسوها في تسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى»^(٥) ^(٦) قال في فتح الباري: أرجح الأقوال أنها في وتر من العشر الأخير، وأنها تنتقل اهـ.

وقد أخفى سبحانه علمها على العباد رحمة بهم؛ ليكثر عملهم في طلبها في تلك الليالي الفاضلة بالصلاة والذكر والدعاء فيزدادوا قربة من الله وثوابا، وأخفاها اختبارا لهم أيضا ليتبين بذلك من كان جادا في طلبها حريصا عليها ممن كان كسلانا متهاونا، فإن من حرص على شيء جد في طلبه وهان عليه التعب في سبيل الوصول إليه والظفر به، وربما يُظهِر الله علمها لبعض العباد بأمارات وعلامات يراها كما رأى النبي ﷺ علامتها أنه يسجد في صبيحتها في ماء وطين، فنزل المطر في تلك الليلة فسجد في صلاة الصبح في ماء وطين.

إخواني: ليلة القدر يُفْتَحُ فيها الباب، ويُقَرَّبُ فيها الأحباب، ويُسْمَعُ الخطاب، ويرد الجواب، ويكتب للعاملين فيها عظيم الأجر، ليلة القدر خير من ألف شهر، فاجتهدوا رحمكم الله في طلبها فهذا أوان الطلب، واحذروا من الغفلة ففي الغفلة العطب.

(١) البخاري صلاة التراويح (١٩١١)، مسلم الصيام (١١٦٥)، أحمد (١٧/٢)، مالك الاعتكاف (٧٠٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري صلاة التراويح (١٩١١)، مسلم الصيام (١١٦٥)، أبو داود الصلاة (١٣٨٥)، أحمد (٨/٢)، مالك الاعتكاف (٧٠٦)، الدارمي الصوم (١٧٨٣).

(٤) رواه مسلم.

(٥) البخاري صلاة التراويح (١٩١٧)، أبو داود الصلاة (١٣٨١)، أحمد (٢٥٩/١).

(٦) رواه البخاري.

تَوَلَّى العَمْرَ فِي سَهْوٍ وَفِي لَهْوٍ وَفِي خَسْرِ
 فِيَا ضَيْعَةً مَا أَنْفَقْتُ فِي الْأَيَّامِ مِنْ عَمْرِي
 وَمَا لِي فِي الَّذِي ضَيَّعْتُ مِنْ عَمْرِي مِنْ عَذْرِ
 فَمَا أَغْفَلْنَا عَنْ وَاجِبَاتِ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ
 أَمَا قَدْ خَصَّنَا اللَّهُ بِشَهْرٍ أَيْمًا شَهْرٍ
 بِشَهْرٍ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِيهِ أَشْرَفَ الذِّكْرِ
 وَهَلْ يَشْبَهُهُ شَهْرٌ وَفِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ
 فَكَمْ مِنْ خَيْرٍ صَحَّ بِمَا فِيهَا مِنْ الْخَيْرِ
 رَوَيْنَا عَنْ ثِقَاتٍ أَنَّهَا تُطَلَّبُ فِي الْوَتْرِ
 ١٢٥ فَطُوبَى لِمَنْ يَطْلُبُهَا فِي هَذِهِ الْعَشْرِ
 فَفِيهَا تَنْزَلُ الْأَمْلاِكُ حَتَّى مَطْلَعِ الدُّخْرِ
 وَقَدْ قَالَ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ
 أَلَا فَادَّخِرُوهَا إِنَّهَا مِنْ أَنْفُسِ الدُّخْرِ
 فَكَمْ مِنْ مَعْتَقٍ فِيهَا مِنَ النَّارِ وَلَا يَدْرِي

اللهم اجعلنا ممن صام الشهر، وأدرك ليلة القدر، وفاز بالثواب الجزيل والأجر.

اللهم اجعلنا من السابقين إلى الخيرات، الهاربين عن المنكرات، الآمنين في الغرفات، مع الذين أنعمت عليهم ووقيتهم السيئات، اللهم أعذنا من مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

اللهم ارزقنا شكر نعمتك وحسن عبادتك، واجعلنا من أهل طاعتك وولايتك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الثالث والعشرون

في وصف الجنة جعلنا الله من أهلها

الحمد لله مبلغ الراجي فوق مأموله، ومعطي السائل زيادة على سُؤله، المنان على التائب بصفحه وقبوله، خلق الإنسان وأنشأ دارا لحلوله، وجعل الدنيا مرحلة لنزوله، فتوطنها من لم يعرف شرف الأخرى لحموله، فأخذ منها كارها قبل بلوغ مأموله، ولم يُعنه ما كسبه من مال وولد حتى انهزم في فلوله، أو ما ترى غربان البين تنوح على طولوه، أما الموقِّ فعرف غرورها فلم ينخدع بمثوله، وسابق إلى مغفرة من الله وجنة عرضها السماوات والأرض أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عارف بالدليل وأصوله، وأشهد أن مُحمَّدًا عنده ورسوله، ما تردد النسيم بين شماله وجنوبه ودبوره وقبوله، صلى الله عليه وعلى أبي بكر صاحبه في سفره وحلوله، وعلى عمر حامي الإسلام بسيف لا يخاف من فلوله، وعلى عثمان الصابر على البلاء حين نزوله، وعلى علي الماضي بشجاعته قبل أن يصول بنصوله، وعلى آلِه وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما امتد الدهر بطولوه وسلم تسليمًا.

إخواني: سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا [الرعد: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَدَثِيرٍ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤَا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ

فَطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ [الإنسان: ١٤-٢٠].

وقال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٤﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ ﴿١٥﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٦﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٧﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٨﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٩﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٠-١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحج: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿مُتَّكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان: ١٣]، وقال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدِسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسْوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان: ٢١]، وقال تعالى: ﴿مُتَّكِبِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان: ٥١-٥٥]، وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ مُخْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن: ٥٦-٥٨]، وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٧٠-٧٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦]، فالحسنى هي الجنة لأنه لا دار أحسن منها، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، رزقنا الله ذلك بمنه وكرمه، والآيات في وصف الجنة ونعيمها وسرورها وأنسها وحبورها كثيرة جدا.

وأما الأحاديث: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قلنا: يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟

قال: " لَبِنَةٌ ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك، وحبابؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»^(١) ^(٢) وعن عتبة بن غزوان رضي الله عنه أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صباغة كصباغة الإناء يصطبُّها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما يحضرنكم، ولقد ذُكِرَ لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام " ^(٣) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»^(٤) ^(٥) وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا هل مُشَّمَّرٌ إلى الجنة، فإن الجنة لا خطر لها»^(٦) ^(٧) «هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمره نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار وفاكهة وخضرة وحبيرة ونعمة في محلَّة عليه بهية"، قالوا: يا رسول الله نحن المشمرون لها. قال: " قولوا: إن شاء الله"، فقال القوم: إن شاء الله»^(٨) ^(٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن»^(١٠) ^(١) وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن

(١) الترمذي صفة الجنة (٢٥٢٥)، أحمد (٣٠٥/٢)، الدارمي الرقاق (٢٨٢١).

(٢) رواه أحمد والترمذي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) البخاري بدء الخلق (٣٠٨٤)، مسلم الصيام (١١٥٢)، الترمذي الصوم (٧٦٥)، النسائي الصيام

(٢٢٣٦)، ابن ماجه الصيام (١٦٤٠)، أحمد (٣٣٥/٥).

(٥) متفق عليه.

(٦) ابن ماجه الزهد (٤٣٣٢).

(٧) أي: لا مثل لها ولا عديل.

(٨) ابن ماجه الزهد (٤٣٣٢).

(٩) رواه ابن ماجه والبيهقي وابن حبان في صحيحه، وإسناده ضعيف.

(١٠) البخاري التوحيد (٦٩٨٧)، أحمد (٣٣٥/٢).

النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل العُرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم". قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: " بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين»^{(٢) (٣)} وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفا يُرى ظاهرها من باطنها وباطنهما من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام»^{(٤) (٥)}.

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة، طولها في السماء ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم فلا يرى بعضهم بعضا»^{(٦) (٧)} وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل لا يتغوّطون، ولا يبولون، ولا يمتخطون، ولا يبصقون، أمشاطهم الذهب، ومجامرهم الألوة، ورحمهم المسك، أخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم آدم ستون ذراعا»^{(٨) (٩)} وفي رواية: «لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا»^(١٠)، وفي رواية: «وأزواجهم الحور

(١) رواه البخاري.

(٢) البخاري بدء الخلق (٣٠٨٣)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣١)، أحمد (٣٤٠/٥)، الدارمي الرقاق (٢٨٣٠).

(٣) رواه البخاري.

(٤) أحمد (٣٤٣/٥).

(٥) أخرجه الطبراني، رواه أحمد بزيادة: " وألأن الكلام ".

(٦) البخاري تفسير القرآن (٤٥٩٨)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٨)، الترمذي صفة الجنة (٢٥٢٨)، أحمد (٤٠٠/٤)، الدارمي الرقاق (٢٨٣٣).

(٧) متفق عليه.

(٨) البخاري أحاديث الأنبياء (٣١٤٩)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٤)، الترمذي صفة الجنة (٢٥٣٧)، ابن ماجه الزهد (٤٣٣٣)، أحمد (٣١٦/٢)، الدارمي الرقاق (٢٨٢٣).

(٩) رواه مسلم.

(١٠) البخاري بدء الخلق (٣٠٧٣)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٤)، الترمذي صفة الجنة (٢٥٣٧)،

العين»^(١).

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جُشَاءً وَرَشْحٌ كرشح المسك، يُلْهُمُونَ التسبيح والتحميد كما يُلْهُمُونَ النَّفْسَ»^(٢) ^(٣) وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفس محمد بيده إن أحدهم (يعني أهل الجنة) لَيُعْطَى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة، تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فَيَضْمُرُ بطنه»^(٤) ^(٥). وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا وَلَتَصَيَّفُهَا (يعني الخمار) خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٦) ^(٧) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جَمْعَةٍ فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْتُوا فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزِدُّونَ حَسَنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ فَيَقُولُونَ لَهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَزِدْتُمْ بَعْدَنَا حَسَنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ أَزِدْتُمْ بَعْدَنَا حَسَنًا وَجَمَالًا»^(٨) ^(٩) وعن أبي سعيد

ابن ماجه الزهد (٤٣٣٣)، أحمد (٣١٦/٢)، الدارمي الرقاق (٢٨٢٣).

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣١٤٩)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٤)، الترمذي صفة الجنة

(٢٥٣٧)، ابن ماجه الزهد (٤٣٣٣)، أحمد (٢٣٢/٢)، الدارمي الرقاق (٢٨٢٣).

(٢) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٥)، أبو داود السنة (٤٧٤١)، أحمد (٣٦٤/٣)، الدارمي الرقاق

(٢٨٢٧).

(٣) رواه مسلم.

(٤) أحمد (٣٦٧/٤)، الدارمي الرقاق (٢٨٢٥).

(٥) أخرجه أحمد والنسائي، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه محتج بهم في الصحيح، ورواه الطبراني

بإسناد صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم.

(٦) البخاري الرقاق (٦١٩٩)، الترمذي فضائل الجهاد (١٦٥١)، أحمد (٢٦٤/٣).

(٧) رواه البخاري.

(٨) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٣)، أحمد (٢٨٥/٣)، الدارمي الرقاق (٢٨٤١).

(٩) رواه مسلم.

ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَنَادِي مَنَادٌ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوُا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَيَأسُوا أَبَدًا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ ﴿وَتُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]».

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ أَعَدَدْتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقروا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]»^(١). وعن صهيب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مَنَادٌ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يَرِيدُ أَنْ يُنَجِّزَكُمُوهُ، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثَقِّلْ موازيننا وبيَّضْ وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم منه»^(٢) ^(٣) وعن أبي سعيد الخدري ﷺ «أن الله يقول لأهل الجنة: "أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(٤) ^(٥).

اللهم ارزقنا الخلد في جناتك، وأحل علينا فيها رضوانك، وارزقنا لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراءٍ مضرّةٍ ولا فتنةٍ مضلّةٍ.
اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ونبيك مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) الحديث متفق عليه.

(٢) مسلم الإيمان (١٨١)، الترمذي تفسير القرآن (٣١٠٥)، ابن ماجه المقدمة (١٨٧)، أحمد (٣٣٣/٤).

(٣) رواه مسلم.

(٤) البخاري الرقاق (٦١٨٣)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٩)، الترمذي صفة الجنة (٢٥٥٥)، أحمد

(٨٨/٣).

(٥) رواه مسلم.

المجلس الرابع والعشرون

في أوصاف أهل الجنة جعلنا الله منهم بمنه وكرمه

الحمد لله الذي كَوَّن الأشياء وأحكمها خلقا، وفتق فأسعد وأشقى، وجعل للسعادة أسبابا فسلكها من كان أتقى، فنظر بعين البصيرة إلى العواقب فاختر ما كان أبقى، أحمده وما أفضي له بالحمد حقا، وأشكره ولم يزل للشكر مستحقا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مالك الرقاب كلها رقا، وأشهد أن مُجَّدًا عبده ورسوله أكمل البشر خُلُقًا وَخُلُقًا، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الحائز فضائل الأتباع سبقا، وعلى عمر العادل فما يجابي خلقا، وعلى عثمان الذي استسلم للشهادة وما تَوَقَّى، وعلى علي بائع ما يفنى ومشتري ما يبقى، وعلى آله وأصحابه الناصرين لدين الله حقا، وسلم تسليمًا.

إخواني: سمعتم أوصاف الجنة ونعيمها وما فيها من السرور والفرح والحبور، فوالله إنها لجديرة بأن يعمل لها العاملون ويتنافس فيها المتنافسون، ويُفني الإنسان عمره في طلبها زاهدا في الدون، فإن سألتهم عن العمل لها والطريق الموصل إليها فقد بيَّنه الله فيما أنزله من وحيه على أشرف خلقه. قال الله **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴿١٣٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَنْ يُضِلَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥]، فهذه أوصاف في أهل الجنة:

* **الوصف الأول:** (المتقين) وهم الذين اتقوا ربهم باتخاذ الوقاية من عذابه بفعل ما أمرهم به طاعة له ورجاء لثوابه، وترك ما نهاهم عنه طاعة له وخوفا من عقابه.

* **الوصف الثاني:** ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فهم ينفقون ما أمروا بإنفاقه على الوجه المطلوب منهم من الزكاة والصدقات والنفقات على من له حق عليهم،

والنفقات في الجهاد وغيره من سبل الخير ينفقون ذلك في السراء والضراء، لا تحملهم السراء والرخاء على حب المال والشح فيه طمعا في زيادته، ولا تحملهم الشدة والضراء على إمساك المال خوفا من الحاجة إليه.

الوصف الثالث: الكاظمين الغيظ وهم الحابسون لغضبهم إذا غضبوا، فلا يعتدون ولا يحقدون على غيرهم بسببه.

* **الوصف الرابع:** العافين عن الناس يعفون عمن ظلمهم واعتدى عليهم، فلا ينتقمون لأنفسهم مع قدرتهم على ذلك. وفي قوله تعالى: والله يحب المحسنين إشارة إلى أن العفو لا يُمدَّح إلا إذا كان من الإحسان، وذلك بأن يقع موقعه ويكون إصلاحا، فأما العفو الذي تزداد به جريمة المعتدي فليس بمحمود ولا مأجور عليه، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

* **الوصف الخامس:** ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، الفاحشة: ما يُسْتَفْحَش من الذنوب وهي الكبائر كقتل النفس المُحرَّمة بغير حق، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتَّوَلَّى يوم الزحف، والزنا، والسرقة، ونحوها من الكبائر، وأما ظلم النفس فهو أعم، فيشمل الصغائر والكبائر، فهم إذا فعلوا شيئا من ذلك ذكروا عظمة من عَصَوْهُ فخافوا منه، وذكروا مغفرته ورحمته فسعوا في أسباب ذلك، فاستغفروا لذنوبهم بطلب سترها والتجاوز عن العقوبة عليها. وفي قوله: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] إشارة إلى أنهم لا يطلبون المغفرة من غير الله لأنه لا يغفر الذنوب سواه.

الوصف السادس: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] أي: لم يستمروا على فعل الذنب وهم يعلمون أنه ذنب، ويعلمون عظمة من عصوه، ويعلمون قرب مغفرته، بل يبادرون إلى الإقلاع عنه والتوبة منه، فالإصرار على الذنوب مع هذا العلم يجعل الصغائر كبائر ويتدرج بالفاعل إلى أمور خطيرة صعبة.

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ

أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون: ١-١١]، فهذه الآيات الكريمة جمعت عدة أوصاف من أوصاف أهل الجنة.

* الوصف الأول: (المؤمنون) الذين آمنوا بالله وبكل ما يجب الإيمان به من ملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، آمنوا بذلك إيمانا يستلزم القبول والانقياد بالقول والعمل.
* الوصف الثاني: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]. حاضرة قلوبهم، ساكنة جوارحهم، يستحضرون أنهم قائمون في صلاتهم بين يدي الله ﷻ يخاطبونه بكلامه ويتقربون إليه بذكره ويلجؤون إليه بدعائه، فهم خاشعون بطواهرهم وبواطنهم.

* الوصف الثالث: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، واللغو كل ما لا فائدة فيه ولا خير من قول أو فعل، فهم معرضون عنه لقوة عزيمتهم وشدة حزمهم، لا يعضون أوقاتهم الثمينة إلا فيما فيه فائدة، فكما حفظوا صلاتهم بالخشوع حفظوا أوقاتهم عن الضياع، وإذا كان من وصفهم الإعراض عن اللغو وهو ما لا فائدة فيه فإعراضهم عما فيه مضرة من باب أولى.

* الوصف الرابع: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤] يحتمل أن المراد بالزكاة القسط الواجب دفعه من المال الواجب زكاته، ويحتمل أن المراد بها كل ما تزكو به نفوسهم من قول أو عمل.

* الوصف الخامس: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٦] فهم حافظون لفروجهم عن الزنا واللواط لما فيهما من معصية الله والانحطاط الخُلُقِي والاجتماعي، ولعل حفظ الفرج يشمل ما هو أعم من ذلك فيشمل حفظه عن النظر واللمس أيضا، وفي قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦] إشارة إلى أن الأصل لوم الإنسان على هذا الفعل إلا على الزوجة والمملوكة لما في ذلك من الحاجة إليه؛ لدفع مقتضى الطبيعة وتحصيل النسل وغيره من المصالح، وفي عموم قوله: ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧] دليل على تحريم الاستمناء الذي يسمى

[العادة السرية] لأنه عملية في غير الزوجات والمملوكات.

* الوصف السادس: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨] الأمانة ما يُؤْتَمَنُ عليه من قول أو فعل أو عين، فمن حدثك بسر فقد ائتمنتك، ومن فعل عندك ما لا يجب الاطلاع عليه فقد ائتمنتك، ومن سلّمك شيئاً من ماله لحفظه فقد ائتمنتك، والعهد ما يلتزم به الإنسان لغيره كالنذر لله والعهود الجارية بين الناس، فأهل الجنة قائمون برعاية الأمانات والعهد فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الخلق، ويدخل في ذلك الوفاء بالعقود والشروط المباحة فيها.

* الوصف السابع: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩] يلازمون على حفظها من الإضاعة والتفريط، وذلك بأدائها في وقتها على الوجه الأكمل بشروطها وأركانها وواجباتها. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أوصافاً كثيرة في القرآن لأهل الجنة سوى ما نقلناه هنا، ذكر ذلك سبحانه ليتصف به من أراد الوصول إليها، وفي الأحاديث عن رسول الله ﷺ من ذلك شيء كثير: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(١) ^(٢). وعنه أيضاً أن النبي ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة»^(٣) ^(٤). وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»^(٥) ^(١) وعن عمر

(١) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩)، الترمذي القراءات (٢٩٤٥)، أبو داود الأدب (٤٩٤٦)،

ابن ماجه المقدمة (٢٢٥)، أحمد (٢٥٢/٢)، الدارمي المقدمة (٣٤٤).

(٢) رواه مسلم.

(٣) مسلم الطهارة (٢٥١)، الترمذي الطهارة (٥١)، النسائي الطهارة (١٤٣)، أحمد (٣٠٣/٢)، مالك النداء

للصلاة (٣٨٦).

(٤) رواه مسلم.

(٥) مسلم الطهارة (٢٣٤)، الترمذي الطهارة (٥٥)، النسائي الطهارة (١٤٨)، أبو داود الطهارة (١٦٩)، ابن

بن الخطاب رضي الله عنه أيضا «فيمين تابع المؤذن من قلبه دخل الجنة»^(٢) ^(٣).

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة»^(٤) ^(٥) وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة»^(٦) ^(٧) وعن ثوبان رضي الله عنه أنه «سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عمل يدخله الله به الجنة فقال: " عليك بكثرة السجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة»^(٨) ^(٩) وعن أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى في كل يوم اثني عشر ركعة تطوعا غير فريضة إلا بنى الله له بيتا في الجنة»^(١٠) ^(١١). وهن أربع قبل الظهر وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل صلاة الصبح.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن

ماجه الطهارة وسننها (٤٧٠)، أحمد (١٤٦/٤).

(١) رواه مسلم.

(٢) مسلم الصلاة (٣٨٥)، أبو داود الصلاة (٥٢٧).

(٣) رواه مسلم.

(٤) البخاري الصلاة (٤٣٩)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٣)، الترمذي الصلاة (٣١٨)، ابن ماجه

المساجد والجماعات (٧٣٦)، أحمد (٦١/١)، الدارمي الصلاة (١٣٩٢).

(٥) متفق عليه.

(٦) النسائي الصلاة (٤٦١)، أبو داود الصلاة (١٤٢٠)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤٠١)، أحمد

(٣١٦/٥)، مالك النداء للصلاة (٢٧٠)، الدارمي الصلاة (١٥٧٧).

(٧) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي، وله طرق يُقَوَّى بعضها بعضا.

(٨) مسلم الصلاة (٤٨٨)، الترمذي الصلاة (٣٨٨)، النسائي التطبيق (١١٣٩)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة

فيها (١٤٢٣)، أحمد (٢٧٦/٥).

(٩) رواه مسلم.

(١٠) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٢٨)، الترمذي الصلاة (٤١٥)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار

(١٧٩٧)، أبو داود الصلاة (١٢٥٠)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١١٤١)، أحمد (٣٢٧/٦).

(١١) رواه مسلم.

النار قال: " لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»^(١) ^(٢) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم»^(٣) متفق عليه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(٤) ^(٥).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة". قيل: يا رسول الله فإن كانتا اثنتين؟ قال: فرأى بعض القوم أن لوقال: واحدة لقال واحدة رواه أحمد وإسناده ضعيف، لكن له شواهد صحيحة منها قوله صلى الله عليه وسلم من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهم كُنَّ له ستراً من النار»^(٦) ^(٧). وعن أبي هريرة رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أكثر ما يُدخِل الناس الجنة؟ فقال: " تقوى الله وحسن الخلق»^(٨) ^(٩) وعن عياض بن حمار المجاشعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقْسِط متصدِّق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال»^(١٠) ^(١١).

(١) الترمذي الإيمان (٢٦١٦)، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٣)، أحمد (٢٣١/٥).

(٢) رواه أحمد والترمذي وصححه.

(٣) البخاري الصوم (١٧٩٧)، مسلم الصيام (١١٥٢)، الترمذي الصوم (٧٦٥)، النسائي الصيام (٢٢٣٧)، ابن ماجه الصيام (١٦٤٠)، أحمد (٣٣٣/٥).

(٤) البخاري الحج (١٦٨٣)، مسلم الحج (١٣٤٩)، الترمذي الحج (٩٣٣)، النسائي مناسك الحج (٢٦٢٩)، ابن ماجه المناسك (٢٨٨٨)، أحمد (٢٤٦/٢)، مالك الحج (٧٧٦)، الدارمي المناسك (١٧٩٥).

(٥) متفق عليه.

(٦) أحمد (٣٠٣/٣).

(٧) رواه مسلم.

(٨) الترمذي البر والصلة (٢٠٠٤)، ابن ماجه الزهد (٤٢٤٦)، أحمد (٤٤٢/٢).

(٩) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه، وإسناده ليس بذلك لكن متنه صحيح.

(١٠) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٥)، أحمد (١٦٢/٤).

(١١) رواه مسلم في حديث طويل.

فهذه أيتها الإخوان طائفة من أحاديث النبي ﷺ تبين شيئا كثيرا من أعمال أهل الجنة لمن أراد الوصول إليها. أسأل الله أن ييسر لنا ولكم سلوكها ويثبتنا عليها إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المجلس الخامس والعشرون

في وصف النار أعادنا الله منها

الحمد لله الحي القيوم، الباقي وغيره لا يدوم، رفع السماء وزينها بالنجوم، وأمسك الأرض بمجال في التخوم، صوّر بقدرته هذه الجسم، ثم أماتها ومحا الرسوم، ثم ينفخ في الصُّور فإذا الميت يقوم، ففريق إلى دار النعيم وفريق إلى نار السَّموم، تفتح أبوابها في وجوههم لكل باب منهم جزء مقسوم، وتوصد عليهم في عمّد ممددة فيها للهموم والغموم، يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم فما منهم مرحوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من للنجاة يروم، وأشهد أن مُحمّدا عبده ورسوله، الذي فتح الله بدينه الفرس والروم. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ما هطّلت الغيوم، وسلم تسليمًا.

إخواني: لقد حذرنا الله تعالى في كتابه من النار وأخبرنا عن أنواع عذابها بما تتفطر منه الأكباد وتتفجر منه القلوب، حذرنا منها وأخبرنا عن أنواع عذابها رحمة بنا لنزداد حذرا وخوفا، فاسمعوا ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من أنواع عذابها لعلكم تذكرون، وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تُنصرون، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى مخاطبا إبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [٤٢] وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ [الحجر: ٤٢-٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ [٦] إِذَا أُلْفُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْفِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ [الملك: ٦-٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ

يَعْشَاهُمْ الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴿العنكبوت: ٥٥﴾، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحُمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤١-٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [القارة: ١٠-١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٧-٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٤٧﴾ لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ ﴿٤٨﴾ لَوَاحِيَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٤٩﴾﴾ [المدثر: ٢٧-٢٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم: ٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٍ ﴿٣٣﴾﴾ [المرسلات: ٣٢-٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعْشَى وُجُوهُهُمُ النَّارِ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [غافر: ٧١].

وقال تعالى: ﴿هَذَانِ حَصْمَانٍ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ ﴿٣٢﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٣٣﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَعَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦]، وقال في تلك الشجرة: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٥﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصفات: ٦٤-٦٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَا لِيُونِ مِنْهَا الْبُطُونُ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الواقعة: ٥١-٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿٦٤﴾﴾ [محمد: ٦٤].

١٥]، وقال تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٦-١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنتُمْ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٧]، وقال تعالى: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا [الإسراء: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿٣٧٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٧٩﴾﴾ [النساء: ١٦٨-١٦٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٣٢﴾﴾ [الجن: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: ٥-٩].

والآيات في وصف النار وأنواع عذابها الأليم الدائم كثيرة.

أما الأحاديث فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» ^(١) ^(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ناركم هذه ما يؤقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءا من نار جهنم»، قالوا: يا رسول الله إنها لكافية؟ قال: إنها فضّلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها» ^(٣) ^(٤) وعنه رضي الله عنه قال: «كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم "أتدرون ما هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفا (يعني سبعين سنة) فالآن حين انتهى إلى

(١) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٢)، الترمذي صفة جهنم (٢٥٧٣).

(٢) رواه مسلم.

(٣) البخاري بدء الخلق (٣٠٩٢)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٣)، الترمذي صفة جهنم (٢٥٨٩)،

أحمد (٣١٣/٢)، مالك الجامع (١٨٧٢)، الدارمي الرقاق (٢٨٤٧).

(٤) متفق عليه.

قعرها» (١) (٢).

وقال عُتْبَةُ بن غزوان رضي الله عنه وهو يخطب: لقد ذكّر لنا أن الحجر يُلقَى من سفير جهنم فيهبوي فيها سبعين عاما ما يدرك لها قعرا والله لئنم لأن أفعَجِبْتُمْ؟ (٣). وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن قطرة من الزقوم قَطَرَتْ في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم» (٤) (٥).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا، وإنه لأهونهم عذابا» (٦) (٧).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُؤْتَى بأَنعم أهل الدنيا من أهل النار فيُصَبَّغ في النار صبغة ثم يقال: يا بن آدم هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا ربّ، ويؤْتَى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصنغ صبغة في الجنة فيقال: يا بن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك من شدة قط؟ فيقول: لا والله يا ربّ ما رأيت بؤسا ولا مر بي من شدة قط» (٨) (٩). يعني أن أهل النار ينسون كل نعيم مر بهم في الدنيا، وأهل الجنة ينسون كل بؤس مر بهم في الدنيا، وعنه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: رأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ قال: فيقول: نعم. قال: فيقول: قد أردت منك ما هو أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا، فأبيت إلا أن تشرك بي» (١٠) (١١).

(١) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٤)، أحمد (٣٧١/٢).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الترمذي صفة جهنم (٢٥٨٥)، ابن ماجه الزهد (٤٣٢٥)، أحمد (٣٠١/١).

(٥) رواه النسائي والترمذي وابن ماجه، وأخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

(٦) البخاري الرقاق (٦١٩٤)، مسلم الإيمان (٢١٣)، الترمذي صفة جهنم (٢٦٠٤)، أحمد (٢٧١/٤).

(٧) رواه مسلم وللبخاري نحوه.

(٨) مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٠٧)، أحمد (٢٠٣/٣).

(٩) رواه مسلم.

(١٠) البخاري أحاديث الأنبياء (٣١٥٦)، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٠٥)، أحمد (١٢٧/٣).

وروى ابن مَرْدَوَيْهِ عن يَعْلَى ابن مُنِيَّة وهو ابن أمية ومنية أمه أنه قال: يُنْشِئُ اللهُ لأهل النار سحابة فإذا أشرفت عليهم ناداهم: يا أهل النار أيُّ شيء تطلبون؟ وما الذي تسألون؟ فيذكرون بها سحائب الدنيا والماء الذي كان ينزل عليهم، فيقولون: نسأل يا رب الشراب، فيمطرهم أغلالاً تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم، وجمراً يُلهب النار عليهم، وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر، ومن مات مدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة». قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهن»^(٢) ^(٣) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن على الله عهداً لمن شرب المُسْكِرَات لَيْسَقِيَهُ من طينة الخبال». قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: عَرَق أهل النار أو عصارة أهل النار»^(٤) ^(٥). وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقال لليهود والنصارى: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا. فيُشار إليهم: ألا تَرِدُونَ؟ فيُخْشَرُونَ إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار»^(٦) ^(٧) قال الحسن: ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة، ولم يشربوا فيها شربة حتى انقطعت أعناقهم عطشا، واحترقت أجوافهم جوعاً، ثم انصرف بهم إلى النار فيُسْقَوْنَ من عين آنية قد آن حرها واشتد نضجها.

وقال ابن الجوزي رحمته الله في وصف النار: دار قد حُصِّصَ أهلها بالبعاد، وحُرِّموا لذة المنى والإسعاد، بُدِّلَتْ وضاعة وجوههم بالسواد، وضُرِبُوا بمقامع أقوى من الأطواد، عليها ملائكة غلاط شداد، لو رأيتهم في الحميم يسرحون، وعلى الزمهرير يُطْرَحُونَ، فحزنهم دائم فما يفرحون،

(١) رواه أحمد ورواه البخاري ومسلم بنحوه.

(٢) أحمد (٣٩٩/٤).

(٣) رواه أحمد وصححه الحاكم وأقره الذهبي.

(٤) مسلم الأشربة (٢٠٠٢)، النسائي الأشربة (٥٧٠٩)، أحمد (٣٦١/٣).

(٥) رواه مسلم.

(٦) مسلم الإيمان (١٨٣).

(٧) متفق عليه.

مُقَامِهِمْ مَحْتُومٌ فَمَا يَبْرَحُونَ أَبَدَ الْآبَادِ، عَلَيْهَا مَلَائِكَةُ غَلَاظِ شَدَادٍ، تَوْبِيخُهُمْ أَعْظَمُ مِنَ الْعَذَابِ، تَأْسُفُهُمْ أَقْوَى مِنَ الْمُصَابِ، يَبْكُونَ عَلَى تَضْيِيعِ أَوْقَاتِ الشَّبَابِ، وَكَلِمَا جَادِ الْبُكَاءِ زَادَ، عَلَيْهَا مَلَائِكَةُ غَلَاظِ شَدَادٍ، يَا حَسْرَتَهُمْ لِعُضْبِ الْخَالِقِ، يَا مَحْنَتَهُمْ لِعِظَمِ الْبَوَائِقِ، يَا فَضِيحَتَهُمْ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، أَيْنَ كَسَبَهُمُ لِلْخُطَامِ؟ أَيْنَ سَعَيْهِمْ فِي الْآثَامِ؟ كَأَنَّهُ كَانَ أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ، ثُمَّ أُحْرِقَتْ تِلْكَ الْأَجْسَامِ، وَكَلِمَا أُحْرِقَتْ تُعَادُ، عَلَيْهَا مَلَائِكَةُ غَلَاظِ شَدَادٍ.

اللَّهُمَّ نَجِّنَا مِنَ النَّارِ، وَأَعِدَّنَا مِنْ دَارِ الْحَزَنِ وَالْبُؤَارِ، وَأَسْكِنْنَا بِرَحْمَتِكَ دَارَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

المجلس السادس والعشرون

في أسباب دخول النار

الحمد لله القوي المتين، الظاهر القاهر المبين، لا يعزب عن سمعه أقل الأنين، ولا يخفى على بصره حركات الجنين، ذل لكبريائه جبايرة السلاطين، وبطل أمام قدرته كيد الكائدين، قضى قضاءه كما شاء على الخاطئين، وسبق اختياره من اختاره من العالمين، فهؤلاء أهل الشمال وهؤلاء أهل اليمين، جرى القدر بذلك قبل عمل العاملين، ولولا هذا التقسيم لبطل جهاد المجاهدين، وما عُرفَ أهل الإيمان من الكافرين، ولا أهل الشك من أهل اليقين، ولولا هذا التقسيم ما امتلأت النار من المجرمين، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]. تلك يا أخي حكمة الله وهو أحكم الحاكمين، أحمده سبحانه حمد الشاكرين، وأسأله معونة الصابرين، وأستجير به من العذاب المهين، وأشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المصطفى الأمين، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر أول تابع من الرجال على الدين، وعلى عمر القوي في أمر الله فلا يلين، وعلى عثمان زوج ابنتي الرسول ونعم القرين، وعلى علي بحر العلوم الأتزع البطين، وعلى جميع آل بيت الرسول الطاهرين، وعلى سائر أصحابه الطيبين، وعلى أتباعه في دينه إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا.

إخواني: اعلّموا أن لدخول النار أسبابًا بيّنها الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ليحذر الناس منها ويجتنبوها، وهذه الأسباب على نوعين:

* النوع الأول: أسباب مُكفِّرة تُخْرِجُ فاعلها من الإيمان إلى الكفر، وتوجب له الخلود في النار.

* النوع الثاني: أسباب مُفسِّقة تُخْرِجُ فاعلها من العدالة إلى الفسق، ويستحق بها دخول النار

دون الخلود فيها.

فأما النوع الأول فنذكر منه أسبابا:

* السبب الأول: الشرك بالله بأن يجعل لله شريكا في الربوبية أو الألوهية أو الصفات، فمن اعتقد أن مع الله خالقا مشاركا أو منفردا، أو اعتقد أن مع الله إلها يستحق أن يعبد، أو عبد مع الله غيره فصرف شيئا من أنواع العبادة إليه، أو اعتقد أن لأحد من العلم والقدرة والعظمة ونحوها مثل ما لله ﷻ فقد أشرك بالله شركا أكبر واستحق الخلود في النار، قال الله ﷻ ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

* السبب الثاني: الكفر بالله ﷻ أو بملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر أو قضاء الله وقدره، فمن أنكر شيئا من ذلك تكذيبا أو جحدا أو شك فيه فهو كافر مخلد في النار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [١٥] خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَاءَ وَلَا نَصِيرًا﴾ [١٦] يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [١٧] وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [١٨] رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٨].

* السبب الثالث: إنكار فرض شيء من أركان الإسلام الخمسة، فمن أنكر فرضية توحيد الله أو الشهادة لرسوله بالرسالة أو عمومها لجميع الناس أو فريضة الصلوات الخمس أو الزكاة أو صوم رمضان أو الحج، فهو كافر لأنه مكذب لله ورسوله وإجماع المسلمين، وكذلك من أنكر تحريم الشرك أو قتل النفس التي حرم الله أو تحريم الزنا أو اللواط أو الخمر أو نحوها مما تحريمه ظاهر صريح في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ؛ لأنه مكذب لله ورسوله، لكن إن كان قريب عهد بإسلام فإنكر ذلك جهلا لم يكفر حتى يُعلم فينكر بعد علمه.

* السبب الرابع: الاستهزاء بالله سبحانه أو بدينه أو رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [١٥] لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، والاستهزاء هو السخرية، وهو من أعظم الاستهانة بالله ودينه ورسوله، وأعظم الاحتقار والازدراء، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

* السبب الخامس: سب الله تعالى أو دينه أو رسوله، وهو القدح والعيب وذكرهم بما يقتضي الاستخفاف والانتقاص كاللعن والتقبيح ونحو ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: من سبَّ الله أو رسوله فهو كافر ظاهراً وباطناً سواء كان يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده. وقال أصحابنا: يكفر من سب الله سواء كان مازحاً أو جاداً، وهذا هو الصواب المقطوع به، ونقل عن إسحاق بن راهويه: أن المسلمين أجمعوا على أن من سب الله أو سب رسوله أو دفع شيئاً مما أنزل الله فهو كافر وإن كان مقراً بما أنزل الله. وقال الشيخ أيضاً: والحكم في سب سائر الأنبياء كالحكم في سب نبينا ﷺ فمن سبَّ نبياً مسمى باسمه من الأنبياء المعروفين المذكورين في القرآن أو موصوفاً بالنبوة بأن يذكر في الحديث أن نبياً فعل أو قال كذا فيسب ذلك الفاعل أو القائل مع علمه أنه نبي فحكمه كما تقدم. اهـ.

وأما سبُّ غير الأنبياء فإن كان الغرض منه سب النبي مثل أن يسب أصحابه يقصد به سب النبي لأن المقارن يقتدي بمن قارنه، ومثل أن يقذف واحدة من زوجات النبي ﷺ بالزنا ونحوه فإنه يكفر؛ لأن ذلك قدح في النبي وسب له، قال الله تعالى: ﴿الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ﴾ [النور: ٢٦].

* السبب السادس: الحكم بغير ما أنزل الله معتقداً أنه أقرب إلى الحق وأصلح للخلق، أو أنه مساو لحكم الله، أو أنه يجوز الحكم به، فمن حكم بغير ما أنزل الله معتقداً ذلك فهو كافر لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وكذا لو اعتقد أن حكم غير الله خير من حكم الله أو مساو له أو أنه يجوز الحكم به، فهو كافر وإن لم يحكم به؛ لأنه مكذب لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ولما يقتضيه قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

* السبب السابع: النفاق وهو أن يكون كافراً بقلبه ويظهر للناس أنه مسلم إما بقوله أو بفعله، قال الله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، وهذا الصنف أعظم مما قبله، ولذلك كانت عقوبة أصحابه أشد، فهم في الدرك الأسفل من النار وذلك لأن كفرهم جامع بين الكفر والخداع والاستهزاء بالله وآياته ورسوله، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ٨ يُخَادِعُونَ

اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ [البقرة: ٨-١٥].

وللنفاق علامات كثيرة:

* منها الشك فيما أنزل الله وإن كان يُظهِر للناس أنه مؤمن، قال الله ﷻ ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ٤٥]، ومنها كراهة حكم الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

* ومنها كراهة ظهور الإسلام وانتصار أهله والفرح بخذلانهم، قال الله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣٣﴾﴾ إِنَّ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٩-١٢٠].

* ومنها طلب الفتنة بين المسلمين والتفريق بينهم ومحبة ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَوْ حَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا حَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧].

* ومنها محبة أعداء الإسلام وأئمة الكفر ومدحهم ونشر آرائهم المخالفة للإسلام، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمُ وَيَحْلِفُونَ عَلَى

الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ [المجادلة: ١٤].

* ومنها لمر المؤمنين وعيبتهم في عبادتهم، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]، فيعيبون المجتهدين في العبادة بالرياء ويعيبون العاجزين بالتقصير.

ومنها الاستكبار عن دعاء المؤمنين احتقارا وشكا، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥].

* ومنها ثقل الصلاة والتكاسل عنها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال النبي ﷺ «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر» (١) (٢).

* ومنها أذية الله ورسوله والمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلٌ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨].

فهذه طائفة من علامات المنافقين ذكرناها للتحذير منها وتطهير النفس من سلوكها.

اللهم أَعِدْنَا مِنَ النِّفَاقِ، وارزقنا تحقيق الإيمان على الوجه الذي يرضيك عنا، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين يا رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين.

(١) النسائي الإمامة (٨٤٣)، أبو داود الصلاة (٥٥٤)، أحمد (١٤٠/٥)، الدارمي الصلاة (١٢٦٩).

(٢) متفق عليه.

المجلس السابع والعشرون

في النوع الثاني من أسباب دخول النار

الحمد لله الذي أنشأ الخلائق بقدرته، وأظهر فيهم عجائب حكمته، ودلّ بآياته على ثبوت وحدانيته، قضى على العاصي بالعقوبة لمخالفته، ثم دعا إلى التوبة ومَنَّ عليه بقبول توبته، فأجيبوا داعي الله وسابقوا إلى جنته، يغفر لكم ذنوبكم ويؤتكم كفلين من رحمته، أحمده على جلال نعوته وكمال صفته، وأشكره على توفيقه وسوابغ نعمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله المبعوث إلى جميع بَرِيَّتِهِ، بشيرا للمؤمنين بجنته، ونذيرا للكافرين بناره وسطوته، صلى الله عليه وعلى أبي بكر خليفته في أمته، وعلى عمر المشهور بقوته على الكافرين وشدته، وعلى عثمان القاضي نجبه في محنته، وعلى علي ابن عمه وزوج ابنته، وعلى سائر آل وأصحابه ومن تبعه في سنته، وسلم تسليمًا.

إخواني: سبق في الدرس الماضي ذكر عدة أسباب من النوع الأول من أسباب دخول النار الموجبة للخلود فيها. وها نحن في هذا الدرس نذكر بمعونة الله عدة أسباب من النوع الثاني، وهي الأسباب التي يستحق فاعلها دخول النار دون الخلود فيها.

* السبب الأول: عقوق الوالدين وهما الأم والأب، وعقوقهما أن يقطع ما يجب لهما من بر وصلة، أو يسيء إليهما بالقول أو الفعل، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤]، وقال النبي ﷺ «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر والعاق لوالديه والذَّيُّوث الذي يقر الخبث في أهله» (١) (١).

* السبب الثاني: قطيعة الرحم وهي أن يقاطع الرجل قرابته فيمنع ما يجب لهم من حقوق بدنية أو مالية، فعن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع»^(٢) ^(٣). قال سفيان: يعني قاطع رحم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الرحم قامت فقاتت لله ﷻ هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك"، ثم قال رسول الله ﷺ " اقرؤوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴿٢٣﴾ [مُحَمَّد: ٢٢-٢٣]»^(٤).

ومن المؤسف أن كثيرا من المسلمين اليوم غفلوا عن القيام بحق الوالدين والأرحام وقطعوا جبل الوصل، وحجة بعضهم أن أقاربه لا يصلونه، وهذه الحجة لا تنفع لأنه لو كان لا يصل إلا من وصله لم يكن صلته لله، وإنما هي مكافأة كما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها»^(٥) ^(٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال: «يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسئون إلي، وأحلم عليهم ويجهلون علي. فقال النبي ﷺ " إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملل»^(٧) ^(٨) «ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»^(٩) ^(١٠).

(١) رواه أحمد والنسائي وله طرق يقوى بها.

(٢) البخاري الأدب (٥٦٣٨)، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٥٦)، الترمذي البر والصلة (١٩٠٩)، أبو داود الزكاة (١٦٩٦)، أحمد (٨٣/٤).

(٣) متفق عليه.

(٤) الحديث متفق عليه.

(٥) البخاري الأدب (٥٦٤٥)، الترمذي البر والصلة (١٩٠٨)، أبو داود الزكاة (١٦٩٧)، أحمد (١٩٣/٢).

(٦) رواه البخاري.

(٧) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٥٨)، أحمد (٤١٢/٢).

(٨) تسفهم: تدخل في أفواههم، والملل: الرماد الحار.

(٩) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٥٨)، أحمد (٤١٢/٢).

(١٠) رواه مسلم.

وإذا وصل رحمه وهم يقطعونه فإن له العاقبة الحميدة، وسيعودون فيصلونه كما وصلهم إن أراد الله بهم خيرا.

* السبب الثالث: أكل الربا، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠-١٣٢]، وقد توعد الله تعالى من عاد إلى الربا بعد أن بلغته موعظة الله وتحذيره، توعدته بالخلود في النار فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

* السبب الرابع: أكل مال اليتامى ذكورا كانوا أم إناثا والتلاعب به، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، واليتيم هو الذي مات أبوه قبل أن يبلغ.

* السبب الخامس: شهادة الزور، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لن تزول قدم شاهد الزور حتى يوجب الله له النار»^(١) ^(٢) وشهادة الزور أن يشهد بما لا يعلم أو يشهد بما يعلم أن الواقع خلافه؛ لأن الشهادة لا تجوز إلا بما علمه الشاهد، وفي الحديث قال لرجل: «تَرَى الشمس؟» قال: نعم. قال: «على مثلها فاشهد أو دع».

* السبب السادس: الرشوة في الحكم، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الراشي والمرتشى في النار»^(٣) ^(٤). قال في النهاية: الراشي من يُعْطَى الذي يعينه على الباطل، والمرتشى الآخذ، فأما ما يُعْطَى توصلًا إلى أخذ حق أو دفع ظلم فغير داخل فيه اهـ.

(١) ابن ماجه الأحكام (٢٣٧٣).

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وهذا تساهل منه رحمه الله، والصواب أنه ضعيف الإسناد جدا، لكن روى الإمام أحمد ما يؤيده بسند رواه ثقات غير أن تابعيه لم يسم.

(٣) الترمذي الأحكام (١٣٣٦)، أحمد (٣٨٧/٢).

(٤) رواه الطبراني ورواه ثقات معروفون، قاله في الترغيب والترهيب.

* السبب السابع: اليمين الغموس، فعن الحارث بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في الحج بين الجمرتين وهو يقول: «من اقتطع مال أخيه بيمين فاجرة فليتبوأ مقعده من النار ليبلغ شاهدكم غائبكم " مرتين أو ثلاثاً»^(١) ^(٢) وسميت غموساً لأنها تغمس الحالف بها في الإثم ثم تغمسه في النار، ولا فرق بين أن يلحف كاذباً على ما ادعاه فيحكم له به أو يلحف كاذباً على ما أنكره فيحكم ببراءته منه.

* السبب التاسع: القضاء بين الناس بغير علم أو بجور وميل، لحديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق وقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار»^(٣) ^(٤).

* السبب التاسع: الغش للرعية وعدم النصح لهم بحيث يتصرف تصرفاً ليس في مصلحتهم ولا مصلحة العمل، لحديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد يسترعيه الله على رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»^(٥) ^(٦) وهذا يعم رعاية الرجل في أهله والسلطان في سلطانه وغيرهم لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، ولكم راع ومسؤول عن رعيته»^(٧) ^(١).

(١) البخاري التوحيد (٧٠٠٧)، مسلم الإيمان (١٣٨)، الترمذي تفسير القرآن (٢٩٩٦)، أبو داود الأيمان والنذور (٣٢٤٣)، ابن ماجه الأحكام (٢٣٢٣)، أحمد (٤١٦/١).

(٢) رواه أحمد والحاكم وصححه.

(٣) الترمذي الأحكام (١٣٢٢)، أبو داود الأقضية (٣٥٧٣)، ابن ماجه الأحكام (٢٣١٥).

(٤) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وقال في بلوغ المرام: أخرجه الأربعة وصححه الحاكم.

(٥) البخاري الأحكام (٦٧٣١)، مسلم الإيمان (١٤٢)، أحمد (٢٧/٥)، الدارمي الرقاق (٢٧٩٦).

(٦) متفق عليه.

(٧) البخاري الجمعة (٨٥٣)، مسلم الإمارة (١٨٢٩)، الترمذي الجهاد (١٧٠٥)، أبو داود الخراج والإمارة

* السبب العاشر: تصوير ما فيه روح من إنسان أو حيوان، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت النبي ﷺ يقول: «كل مُصَوَّر في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا فتعذبه في جهنم» (٢) (٣) وفي رواية للبخاري: «من صور صورة فإن الله مُعَذِّبُهُ حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا» (٤). فأما تصوير الأشجار والنبات والثمار ونحوها مما يخلقه الله من الأجسام النامية فلا بأس به على قول جمهور العلماء، ومنهم من منع ذلك لما رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «قال الله ﻻ يخلق من ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة» (٥) (٦).

* السبب الحادي عشر: ما ثبت عن حارثة بن وهب أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عَتُلٌّ جَوَّازٌ مستكبر» (٧) (٨) فالعتل: الشديد الغليظ الذي لا يلين للحق ولا للخلق، والجواز: الشحيح البخيل فهو جَمَاعٌ مَنَاعٌ، والمستكبر هو الذي يَرُدُّ الحق ولا يتواضع للخلق، فهو يرى نفسه أعلى من الناس، ويرى رأيه أصوب من الحق.

* السبب الثاني عشر: استعمال أواني الذهب والفضة في الأكل والشرب للرجال والنساء، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «الذي يشرب في آنية الفضة إنما تُجْرَجُ في بطنه نارَ

والفيء (٢٩٢٨)، أحمد (١٢١/٢).

(١) متفق عليه.

(٢) البخاري البيوع (٢١١٢)، مسلم اللباس والزينة (٢١١٠)، الترمذي اللباس (١٧٥١)، النسائي الزينة (٥٣٥٨)، أبو داود الأدب (٥٠٢٤)، أحمد (٣٠٨/١).

(٣) رواه مسلم.

(٤) البخاري البيوع (٢١١٢)، مسلم اللباس والزينة (٢١١٠)، الترمذي اللباس (١٧٥١)، النسائي الزينة (٥٣٥٨)، أبو داود الأدب (٥٠٢٤)، أحمد (٣٦٠/١).

(٥) البخاري التوحيد (٧١٢٠)، مسلم اللباس والزينة (٢١١١)، أحمد (٢٣٢/٢).

(٦) رواه البخاري.

(٧) البخاري تفسير القرآن (٤٦٣٤)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٥٣)، الترمذي صفة جهنم (٢٦٠٥)، ابن ماجه الزهد (٤١١٦)، أحمد (٣٠٦/٤).

(٨) متفق عليه.

«جهنم»^(١) وفي رواية لمسلم: «إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»^(٢).

فاحذروا إخواني أسباب دخول النار، واعملوا الأسباب التي تبعدكم عنها لتفوزوا في دار القرار. واعلموا أن الدنيا متاع قليل سريعة الزوال والانهايار. واسألوا ربكم الثبات على الحق إلى الممات، وأن يحشركم مع الذين أنعم الله عليهم من المؤمنين والمؤمنات. اللهم ثبتنا على الحق وتوفنا عليه، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري الأشربة (٥٣١١)، مسلم اللباس والزينة (٢٠٦٥)، ابن ماجه الأشربة (٣٤١٣)، أحمد (٣٠١/٦)، مالك الجامع (١٧١٧)، الدارمي الأشربة (٢١٢٩).

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري الأشربة (٥٣١١)، مسلم اللباس والزينة (٢٠٦٥)، ابن ماجه الأشربة (٣٤١٣)، أحمد (٣٠١/٦)، مالك الجامع (١٧١٧)، الدارمي الأشربة (٢١٢٩).

المجلس الثامن والعشرون

في زكاة الفطر

الحمد لله العليم الحكيم، العلي العظيم، خلق كل شيء فقدره تقديرا، وأحكم شرائعه ببالغ حكمته بيانا للخلق وتبصيرا، أحمده على صفاته الكاملة، وأشكره على آلائه السابغة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن مُجَدِّدَ عبده ورسوله البشير النذير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم المآب والمصير، وسلم تسليما.

إخواني: إن شهركم الكريم قد عزم على الرحيل ولم يبق منه إلا الزمن القليل، فمن كان منكم محسنا فليحمد الله على ذلك وليسأله القبول، ومن كان منكم مهملا فليتب إلى الله وليعتذر من تقصيره، فالعذر قبل الموت مقبول.

إخواني: إن الله شرع لكم في ختام شهركم هذا أن تؤدوا زكاة الفطر قبل صلاة العيد، وستكلم في هذا المجلس عن حُكْمِهَا وحكمتها وجنسها ومقدارها ووقت وجوبها ودفعها ومكانها.

فأما حكمها فإنها فريضة فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين، وما فرضه رسول الله ﷺ أو أمر به فله حكم ما فرضه الله تعالى أو أمر به، قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُضَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. وهي فريضة على الكبير والصغير والذكر والأنثى والحر والعبد من المسلمين، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعا من

تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحرة والذكور والأنثى والصغير والكبير من المسلمين»^{(١) (٢)}.

ولا تجب عن الحمل الذي في البطن إلا أن يتطوع بها فلا بأس، فقد كان أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه يخرجها عن الحمل، ويجب إخراجها عن نفسه وكذلك عمن تلزمه مؤونته من زوجة أو قريب إذا لم يستطيعوا إخراجها عن أنفسهم، فإن استطاعوا فالأولى أن يخرجوها عن أنفسهم؛ لأنهم المخاطبون بها أصلاً، ولا تجب إلا على من وجدها فاضلة زائدة عما يحتاجه من نفقة يوم العيد وليلته، فإن لم يجد إلا أقل من صاع أخرجه لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»^{(٣) (٤)}.

وأما حكمتها فظاهرة جداً، ففيها إحسان إلى الفقراء وكف لهم عن السؤال في أيام العيد؛ ليشاركوا الأغنياء في فرحهم وسرورهم به ويكون عيداً للجميع، وفيها الاتصاف بخلق الكرم وحب المواساة، وفيها تطهير الصائم مما يحصل في صيامه من نقص ولغو وإثم، وفيها إظهار شكر نعمة الله بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة فيه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»^{(٥) (٦)}.

وأما جنس الواجب في الفطرة فهو طعام الآدميين من تمر أو بُرٍّ أو رز أو زبيب أو أقط أو غيرهما من طعام بني آدم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من

(١) البخاري الزكاة (١٤٤٠)، مسلم الزكاة (٩٨٤)، الترمذي الزكاة (٦٧٦)، النسائي الزكاة (٢٥٠٣)، أبو داود الزكاة (١٦١١)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٧)، أحمد (٦٦/٢)، مالك الزكاة (٦٢٧)، الدارمي الزكاة (١٦٦١).
(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٥٨)، مسلم الحج (١٣٣٧)، الترمذي العلم (٢٦٧٩)، النسائي مناسك الحج (٢٦١٩)، ابن ماجه المقدمة (٢)، أحمد (٥٠٨/٢).

(٤) متفق عليه.

(٥) أبو داود الزكاة (١٦٠٩)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٧).

(٦) رواه أبو داود وابن ماجه، وأخرجه أيضاً الدارقطني والحاكم وصححه.

رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير»^(١) ^(٢) وكان الشعير يومذاك من طعامهم كما قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه «كنا نُخْرِج يوم الفطر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم صاعا من طعام وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر»^(٣) ^(٤).

فلا يجزئ إخراج طعام البهائم لأن النبي صلى الله عليه وسلم فرضها طعمة للمساكين لا للبهائم.

ولا يجزئ إخراجها من الثياب والفرش والأواني والأمتعة وغيرها مما سوى طعام آدميين؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم فرضها من الطعام فلا تتعدى ما عيَّنه الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولا يجزئ إخراج قيمة الطعام؛ لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»^(٥)، وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»^(٦) ^(٧) ومعنى ردّ: مردود، ولأن إخراج القيمة مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم، حيث كانوا يخرجونها صاعا من طعام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»^(٨) ^(٩) ولأن زكاة الفطر عبادة من جنس معين فلا يجزئ إخراجها من غير

(١) البخاري الزكاة (١٤٤٠)، مسلم الزكاة (٩٨٤)، الترمذي الزكاة (٦٧٦)، النسائي الزكاة (٢٥٠٣)، أبو داود الزكاة (١٦١١)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٧)، أحمد (٦٦/٢)، مالك الزكاة (٦٢٧)، الدارمي الزكاة (١٦٦١).

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري الزكاة (١٤٣٩)، مسلم الزكاة (٩٨٥)، الترمذي الزكاة (٦٧٣)، النسائي الزكاة (٢٥١٣)، أبو داود الزكاة (١٦١٦)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٩)، أحمد (٩٨/٣)، مالك الزكاة (٦٢٨)، الدارمي الزكاة (١٦٦٤).

(٤) رواه البخاري.

(٥) البخاري الصلح (٢٥٥٠)، مسلم الأفضية (١٧١٨)، أبو داود السنة (٤٦٠٦)، ابن ماجه المقدمة (١٤)، أحمد (٢٥٦/٦).

(٦) البخاري الصلح (٢٥٥٠)، مسلم الأفضية (١٧١٨)، أبو داود السنة (٤٦٠٦)، ابن ماجه المقدمة (١٤)، أحمد (٢٧٠/٦).

(٧) رواه مسلم وأصله في الصحيحين.

(٨) الترمذي العلم (٢٦٧٦)، ابن ماجه المقدمة (٤٤)، أحمد (١٢٦/٤)، الدارمي المقدمة (٩٥).

(٩) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، والترمذي وقال: حسن صحيح، وقال أبو نعيم: حديث جيد من صحيح حديث الشاميين.

الجنس، كما لا يجزئ إخراجها في غير الوقت المعين، ولأن النبي ﷺ عينها من أجناس مختلفة وأقيامها مختلفة غالباً، فلو كانت القيمة معتبرة لكان الواجب صاعاً من جنس وما يقابل قيمته من الأجناس الأخرى، ولأن إخراج القيمة يُخْرِج الفطرة عن كونها شعيرة ظاهرة إلى كونها صدقة خفية، فإن إخراجها صاعاً من طعام يجعلها ظاهرة بين المسلمين معلومة للصغير والكبير يشاهدون كَيْلها وتوزيعها ويتعارفونها بينهم بخلاف ما لو كانت دراهم يُخْرِجها الإنسان خفية بينه وبين الآخذ.

وأما مقدار الفطرة فهو صاع بصاع النبي ﷺ الذي يبلغ وزنه بالمثاقيل أربعمئة وثمانين مثقالاً من البر الجيد، وبالغرامات كيلوين اثنين ومُئسِّي عشر كيلو من البر الجيد، وذلك لأن زنة المثلقال أربعة غرامات وربيع، فيكون مبلغ أربعمئة وثمانين مثقالاً ألفي غرام وأربعين غراماً، فإذا أراد أن يعرف الصاع النبوي فليزن كيلوين وأربعين غراماً من البر ويضعها في إناء بقدرها بحيث تملؤه ثم يكيل به.

وأما وقت وجوب الفطرة فهو غروب الشمس ليلة العيد، فمن كان من أهل الوجوب حينذاك وجبت عليه وإلا فلا، وعلى هذا فإذا مات قبل الغروب ولو بدقائق لم تجب الفطرة، وإن مات بعده ولو بدقائق وجب إخراج فطرته، ولو وُلِدَ شخص بعد الغروب ولو بدقائق لم تجب فطرته، لكن لا بأس بإخراجها كما سبق، وإن وُلِدَ قبل الغروب ولو بدقائق وجب إخراج الفطرة عنه. وإنما كان وقت وجوبها غروب الشمس من ليلة العيد لأنه الوقت الذي يكون به الفطر من رمضان، وهي مضافة إلى ذلك فإنه يقال: زكاة الفطر من رمضان، فكان مناط الحكم ذلك الوقت.

وأما زمن دفعها فله وقتان: وقت فضيلة ووقت جواز.

فأما وقت الفضيلة: فهو صباح العيد قبل الصلاة لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «كنا نُخْرِج في عهد النبي ﷺ يوم الفطر صاعاً من طعام»^(١) ^(١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ

(١) البخاري الزكاة (١٤٣٩)، مسلم الزكاة (٩٨٥)، الترمذي الزكاة (٦٧٣)، النسائي الزكاة (٢٥١٣)، أبو داود الزكاة (١٦١٦)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٩)، أحمد (٩٨/٣)، مالك الزكاة (٦٢٨)، الدارمي الزكاة (١٦٦٤).

أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة» (٢) (٣).

ولذلك كان من الأفضل تأخير صلاة العيد يوم الفطر ليتسع الوقت لإخراج الفطرة.

وأما وقت الجواز فهو قبل العيد بيوم أو يومين، فعن نافع قال: كان ابن عمر يعطي عن الصغير والكبير حتى إن كان يعطي عن بني، وكان يعطيها الذين يقبلونها، وكانوا يُعْطُونَ قبل الفطر بيوم أو يومين (٤).

ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، فإن أخرجها عن صلاة العيد بلا عذر لم تُقبل منه لأنه خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ وقد سبق من حديث ابن عباس رضي الله عنهما «أن من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات» (٥).

أما إن أخرها لعذر فلا بأس، مثل أن يصادفه العيد في البر ليس عنده ما يدفع منه أو ليس عنده من يدفع إليه، أو يأتي خبر ثبوت العيد مفاجئاً بحيث لا يتمكن من إخراجها قبل الصلاة، أو يكون معتمداً على شخص في إخراجها فينسى أن يُخرجها فلا بأس أن يخرجها ولو بعد العيد لأنه معذور في ذلك.

والواجب أن تصل إلى مستحقها أو وكيله في وقتها قبل الصلاة، فلو نواها لشخص ولم يصادفه ولا وكيله وقت الإخراج فإنه يدفعها إلى مستحق آخر ولا يؤخرها عن وقتها.

وأما مكان دفعها فتدفع إلى فقراء المكان الذي هو فيه وقت الإخراج سواء كان محل إقامته أو غيره من بلاد المسلمين، لا سيما إن كان مكاناً فاضلاً كمكة والمدينة، أو كان فقراؤه أشد حاجة، فإن كان في بلد ليس فيها من يدفع إليه، أو كان لا يعرف المستحقين فيه وكُلَّ من يدفعها عنه في مكان مستحقٍ.

والمستحقون لزكاة الفطر هم الفقراء، ومن عليهم ديون لا يستطيعون وفاءها فيُعْطُونَ منها

(١) رواه البخاري.

(٢) البخاري الزكاة (١٤٣٨)، النسائي الزكاة (٢٥٠٤)، أحمد (١٥٧/٢).

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٤) رواه البخاري.

(٥) أبو داود الزكاة (١٦٠٩)، ابن ماجه الزكاة (١٨٢٧).

بقدر حاجتهم، ويجوز توزيع الفطرة على أكثر من فقير، ويجوز دفع علب من الفطر إلى مسكين واحد؛ لأن النبي ﷺ قَدَّر الواجب ولم يقدر من يُدْفَع إليه، وعلى هذا لو جمع جماعة فطرهم في وعاء واحد بعد كيلها وصاروا يدفعون منه بلا كيل ثانٍ أجزأهم ذلك، ولكن ينبغي إخبار الفقير بأنهم لا يعلمون مقدار ما يدفعون إليه لئلا يغتر به فيدفعه عن نفسه وهو لا يدري عن كيله، ويجوز للفقير إذا أخذ الفطرة من شخص أن يدفعها عن نفسه أو أحد من عائلته إذا كالهأ أو أخبره دفعها أنها كاملة ووثق بقوله.

اللهم وفقنا للقيام بطاعتك على الوجه الذي يرضيك عنا، وركِّ نفوسنا وأقوالنا وأفعالنا وطهِّرنا من سوء العقيدة والقول والعمل، إنك جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس التاسع والعشرون

في التوبة

الحمد لله الذي نصب من كل كائن على وحدانيته برهانا، وتصرف في خليقته كما شاء عزا وسلطانا، واختار المتقين فوهب لهم أمانا وإيمانا، وعم المذنبين بجلمه ورحمته عفوًا وغفرانا، ولم يقطع أرزاق أهل معصيته جودا وامتنانا، رَوَّحَ أهل الإخلاص بنسيم قربه، وحذر يوم الحساب بجسيم كربه، وحفظ السالك نحو رضاه في سره، وأكرم المؤمن إذ كتب الإيمان في قلبه، حكم في برّيته فأمر ونهى، وأقام بمعونته ما ضعف ووهى، وأيقظ بموعظته من غفل وسها، ودعا المذنب إلى التوبة لغفران ذنبه، ربُّ عظيم لا يشبه الأنام، وغني كريم لا يحتاج إلى الشراب والطعام، الخلق مفتقرون إليه على الدوام، ومضطرون إلى رحمته في الليالي والأيام.

أحمده حمد عابد لربه، معتذر إليه من تقصيره وذنبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص من قلبه، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله المصطفى من حزه، صلى الله عليه وعلى أبي بكر خير صحبه، وعلى عمر الذي لا يسير الشيطان في سره، وعلى عثمان الشهيد لا في صفِّ حَرْبِهِ، وعلى علي معينه في حربه، وعلى آلِه وأصحابه ومن اهتدى بهديه، وسلم تسليمًا.

إخواني: اختموا شهر رمضان بالتوبة إلى الله من معاصيه، والإنابة إليه بفعل ما يُرضيه، فإن الإنسان لا يخلو من الخطأ والتقصير، وكل بني آدم خَطَّاء، وخير الخطائين التوابون، وقد حث الله في كتابه وحث النبي ﷺ في خطابه على استغفار الله تعالى والتوبة إليه فقال سبحانه: ﴿وَأَن اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال

سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاغْتَزِلُوا فِي النَّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَظَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والآيات في ذكر التوبة عديدة.

وأما الأحاديث فمنها عن الأعرابي بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة»^(١) ^(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(٣) ^(٤) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»^(٥) ^(٦) وإنما يفرح سبحانه بتوبة عبده لمحبهه للتوبة والعتو ورجوع عبده إليه بعد هربه منه، وعن أنس وابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»^(٧) ^(٨).

فالتوبة هي الرجوع من معصية الله إلى طاعته؛ لأنه سبحانه هو المعبود حقا، وحقيقة العبودية هي التذلل والخضوع للمعبود محبة وتعظيما، فإذا حصل من العبد شرود عن طاعة ربه فتوبته أن

(١) أحمد (٤/٢٦١).

(٢) رواه مسلم.

(٣) البخاري الدعوات (٥٩٤٨)، الترمذي تفسير القرآن (٣٢٥٩)، ابن ماجه الأدب (٣٨١٦)، أحمد (٣٤١/٢).

(٤) رواه البخاري.

(٥) البخاري الدعوات (٥٩٥٠)، مسلم التوبة (٢٧٤٧)، أحمد (٣/٢١٣).

(٦) رواه مسلم.

(٧) البخاري الرقاق (٦٠٧٥)، مسلم الزكاة (١٠٤٨)، الترمذي الزهد (٢٣٣٧)، أحمد (٣/٢٧٢)، الدارمي الرقاق (٢٧٧٨).

(٨) متفق عليه.

يرجع إليه ويقف ببابه موقف الفقير الذليل الخائف المنكسر بين يديه.

والتوبة واجبة على الفور لا يجوز تأخيرها ولا التسوية بها؛ لأن الله أمر بها ورسوله، وأوامر الله ورسوله كلها على الفور والمبادرة لأن العبد لا يدري ماذا يحصل له بالتأخير، فلعله أن يفجأه الموت فلا يستطيع التوبة، ولأن الإصرار على المعصية يوجب قسوة القلب وبعده عن الله ﷻ وضعف إيمانه، فإن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالعصيان، ولأن الإصرار على المعصية يوجب إلفها والتشبث بها، فإن النفس إذا اعتادت على شيء صعب عليها فراقه، وحينئذ يعسر عليه التخلص من معصيته، ويفتح عليه الشيطان باب معاصٍ أخرى أكبر وأعظم مما كان عليه؛ ولذلك قال أهل العلم وأرباب السلوك: إن المعاصي بريد الكفر ينتقل الإنسان فيها مرحلة مرحلة حتى يزيغ عن دينه كله، نسأل الله العافية والسلامة.

والتوبة التي أمر الله بها هي التوبة النصوح التي تشتمل على شرائط التوبة وهي خمسة:

* **الأول:** أن تكون خالصة لله ﷻ بأن يكون الباعث لها حب الله وتعظيمه ورجاء ثوابه والخوف من عقابه، فلا يريد بها شيئاً من الدنيا ولا تزلفاً عند مخلوق، فإن أراد هذا لم تقبل توبته لأنه لم يتب إلى الله، وإنما تاب إلى الغرض الذي قصده.

* **الثاني:** أن يكون نادماً حزيناً على ما سلف من ذنبه يتمنى أنه لم يحصل منه؛ لأجل أن يُجِدْ له ذلك الندمُ إنابةً إلى الله وانكساراً بين يديه ومقتناً لنفسه التي أمرته بالسوء، فتكون توبته عن عقيدة وبصيرة.

* **الثالث:** أن يُقْلِعَ عن المعصية فوراً، فإن كانت المعصية بفعل محرم تركه في الحال، وإن كانت المعصية بترك واجب فعله في الحال إن كان مما يمكن قضاءه كالزكاة والحج، فلا تصح التوبة مع الإصرار على المعصية، فلو قال: إنه تاب من الربا مثلاً وهو مستمر على التعامل به لم تصح توبته، ولم تكن توبته هذه إلا نوع استهزاء بالله وآياته لا تزيده من الله إلا بعداً، ولو تاب من ترك الصلاة مع الجماعة وهو مستمر على تركها لم تصح توبته، وإذا كانت المعصية فيما يتعلق بحقوق الخلق لم تصح التوبة منها حتى يتخلص من تلك الحقوق، فإذا كانت معصيته بأخذ مالٍ للغير أو جرده لم تصح توبته حتى يؤدي المال إلى صاحبه إن كان حياً، أو إلى ورثته إن كان ميتاً، فإن لم يكن له ورثة أدّاهُ إلى بيت المال، وإن كان لا يدري من صاحب المال تصدق به والله سبحانه

يعلم به، وإن كانت معصيته بغية مسلم وجب أن يستحله من ذلك إن كان قد علم بغيبته إياه أو خاف أن يعلم بها، وإلا استغفر له وأثنى عليه بصفاته المحمودة في المجلس الذي اغتابه فيه، فإن الحسنات يذهبن السيئات.

وتصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره، لأن الأعمال تتبعض والإيمان يتفاضل، لكن لا يستحق الوصف المطلق للتوبة وما يستحقه التائبون على الإطلاق من الأوصاف الحميدة والمنازل العالية حتى يتوب إلى الله من جميع الذنوب.

الشرط الرابع: أن يعزم على أن لا يعود في المستقبل إلى المعصية؛ لأن هذه ثمرة التوبة ودليل صدق صاحبها، فإن قال: إنه تائب وهو عازم أو متردد في فعل المعصية يوماً ما لم تصح توبته؛ لأن هذه توبة مؤقتة يتحيز فيها صاحبها الفرص المناسبة، ولا تدل على كراهيته للمعصية وفراره منها إلى طاعة الله عز وجل.

* **الشرط الخامس:** أن لا تكون بعد انتهاء وقت قبول التوبة، فإن كانت بعد انتهاء وقت القبول لم تقبل، وانتهاء وقت القبول نوعان: عام لكل أحد، وخاص لكل شخص بنفسه.

فأما العام فهو طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها لم تنفع التوبة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والمراد ببعض الآيات طلوع الشمس من مغربها، فسرها بذلك النبي ﷺ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تزال التوبة تقبل حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل» (١) (٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» (٣) (٤).

وأما الخاص فهو عند حضور الأجل، فمتى حضر أجل الإنسان وعاین الموت لم تنفعه التوبة

(١) أحمد (١/١٩٢).

(٢) قال ابن كثير: حسن الإسناد.

(٣) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٣)، أحمد (٢/٣٩٥).

(٤) رواه مسلم.

ولم تقبل منه، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النساء: ١٨]، وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(١) ^(٢) يعني بروحه.

ومتى صحت التوبة باجتماع شروطها وقُبِلَتْ محَا اللهُ بِهَا ذَلِكَ الذَّنْبُ الَّذِي تَابَ مِنْهُ وَإِنْ عَظُمَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنََّّ اللهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وهذه الآية في التائبين المنيبين إلى ربهم المسلمين له، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهُ يَجِدِ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

فبادروا رحمكم الله أعماركم بالتوبة النصوح إلى ربكم قبل أن يفجأكم الموت فلا تستطيعون الخلاص.

اللهم وفقنا للتوبة النصوح التي تمحو لها ما سلف من ذنوبنا، ويبرئنا ليسرى، وجيبنا العسرى، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين في الآخرة والأولى، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١) الترمذي الدعوات (٣٥٣٧)، ابن ماجه الزهد (٤٢٥٣).

(٢) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن.

المجلس الثلاثون

في ختام الشهر

الحمد لله الواسع العظيم، الجواد البر الرحيم، خلق كل شيء فقدره، وأنزل الشرع فيسره وهو الحكيم العليم، بدأ الخلق وأنهأه، وسيّر الفلك وأجراه، ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ٣٩ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس: ٣٨-٤٠].

أحمده على ما أوّلَى وهدى، وأشكره على ما وهب وأعطى، وأشهد أنه لا إله إلا هو الملك العلي الأعلى، الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن مُجَدَّ عبده ورسوله المصطفى على العالمين، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر أفضل الصّديقين، وعلى عمر المعروف بالقوة في الدين، وعلى عثمان المقتول ظلما بأيدي المجرمين، وعلى علي أقربهم نسبا على اليقين، وعلى جميع آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا.

إخواني: إن شهر رمضان قرب رحيله وأزف تحويله، وإنه شاهد لكم أو عليكم بما أودعتموه من الأعمال، فمن أودعه عملا صالحا فليحمد الله على ذلك وليبشّر بحسن الثواب، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ومن أودعه عملا سيئا فليتب إلى ربه توبة نصوحا، فإن الله يتوب على من تاب، ولقد شرع الله لكم في ختام شهركم عبادات تزيدكم من الله قربا، وتزيد في إيمانكم قوة، وفي سجل أعمالكم حسنات، فشرع الله لكم زكاة الفطر وتقدم الكلام عليها مفصلا، وشرع لكم التكبير عند إكمال العدة من غروب الشمس ليلة العيد إلى صلاة العيد، قال الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وصفته أن يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد، ويُسرّ جهر الرجال به في المساجد والأسواق والبيوت إعلانا بتعظيم الله وإظهارا لعبادته وشكره، ويُسرّ به

النساء لأنهن مأمورات بالتستر والإسرار بالصوت.

ما أجمل حال الناس وهم يكبرون الله تعظيما وإجلالا في كل مكان عند انتهاء شهر صومهم، يملؤون الآفاق تكبيرا وتحميدا وتهليلا، يرجون رحمة الله ويخافون عذابه.

وشرع الله سبحانه لعباده صلاة العيد يوم العيد، وهي من تمام ذكر الله ﷻ أمر رسول الله ﷺ بما أمته رجالا ونساء، وأمره مطاع لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٣٣]، وقد أمر النبي ﷺ النساء أن يخرجن إلى صلاة العيد، مع أن البيوت خير لهن فيما عدا هذه الصلاة، وهذا دليل على تأكيدها، قالت أم عطية رضي الله عنها: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نُخْرِجَهُنَّ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، الْعَوَاتِقَ وَالْحَيْضَ وَذَوَاتِ الْحُدُورِ، فَأَمَّا الْحَيْضُ فَيَعْتَزِلْنَ الْمَصَلَّى وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَانَا لَا يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ، قَالَ: " لِثَلْبِسْهَا أُخْتَهَا مِنْ جِلْبَابِهَا»^(١) ^(٢) والجلباب: لباس تلتحف فيه المرأة بمنزلة العباءة.

ومن السنة أن يأكل قبل الخروج إلى الصلاة في عيد الفطر تمرات وترا ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك، يقطعها على وتر لقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ وَيَأْكُلُهُنَّ وَتَرًا»^(٣) ^(٤).

ويخرج ماشيا لا راكبا إلا من عذر كعجز وُبُعْدٍ لقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه من السنة أن يخرج إلى العيد ماشيا^(٥) ويسن للرجل أن يتجمل ويلبس أحسن ثيابه لما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أخذ عمر جبة من إستبرق - أي: حرير - تباع في السوق، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله (يعني اشترها) تجمل بها للعيد والوفود، فقال له رسول الله ﷺ " إنما هذه لباس من لا

(١) البخاري الحج (١٥٦٩)، مسلم صلاة العيدين (٨٩٠)، الترمذي الجمعة (٥٣٩)، النسائي صلاة العيدين (١٥٥٨)، أبو داود الصلاة (١١٣٩)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٠٧)، أحمد (٨٤/٥)، الدارمي الصلاة (١٦٠٩).

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري الجمعة (٩١٠)، الترمذي الجمعة (٥٤٣)، ابن ماجه الصيام (١٧٥٤)، أحمد (١٢٦/٣).

(٤) رواه أحمد والبخاري.

(٥) رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وفيه الحارث الأعور وأكثر الحفاظ على توهينه ووثقه بعضهم.

خلاق له»^(١)، وإنما قال ذلك لكونها حريرا، ولا يجوز للرجل أن يلبس شيئا من الحرير أو شيئا من الذهب؛ لأنهما حرام على الذكور من أمة مُحَمَّدٍ ﷺ، وأما المرأة فتخرج إلى العيد غير متجملة ولا متطيبة ولا متبرجة ولا سافرة لأنها مأمورة بالتستر منهيّة عن التبرج بالزينة وعن التطيب حال الخروج.

ويؤدي الصلاة بخشوع وحضور قلب، ويكثر من ذكر الله ودعائه ويرجو رحمته ويخاف عذابه، ويتذكر باجتماع الناس في الصلاة على صعيد المسجد اجتماع الناس في المقام الأعظم بين يدي الله ﷻ في العيد يوم القيامة، ويرى إلى تفاضلهم في هذا المجتمع فيتذكر به التفاصل الأكبر في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]، وليكن فرحا بنعمة الله عليه بإدراك رمضان وعمل ما تيسر فيه من الصلاة والصيام والقراءة والصدقة وغير ذلك من الطاعات؛ فإن ذلك خير من الدنيا وما فيها ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، فإن صيام رمضان وقيامه إيمانا واحتسابا من أسباب مغفرة الذنوب والتخلص من الآثام، فالمؤمن يفرح بإكمال الصوم والقيام، لتخلصه به من الآثام، وضعيف الإيمان يفرح بإكماله لتخلصه من الصيام الذي كان ثقيلا عليه ضائقا به صدره، والفرق بين الفريقين عظيم.

إخواني: إنه وإن انقضى شهر رمضان فإن عمل المؤمن لا ينقضي قبل الموت، قال الله ﷻ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال النبي ﷺ «إذا مات العبد انقطع عمله»^(٢)، فلم يجعل لانقطاع العمل غاية إلا الموت، فلئن انقضى صيام شهر رمضان فإن المؤمن لن ينقطع من عبادة الصيام بذلك، فالصيام لا يزال مشروعا والله الحمد في

(١) البخاري الجمعة (٩٠٦)، مسلم اللباس والزينة (٢٠٦٨)، النسائي صلاة العيدين (١٥٦٠)، أبو داود اللباس

(٤٠٤٠)، ابن ماجه اللباس (٣٥٩١)، أحمد (١٠٣/٢)، مالك الجامع (١٧٠٥).

(٢) البخاري المرضى (٥٣٤٩)، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٨٢)، النسائي الجنائز (١٨١٩)،

أحمد (٣١٦/٢)، الدارمي الرقاق (٢٧٥٨).

العام كله، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر»^{(١) (٢)}.

وصيام ثلاثة أيام من كل شهر قال فيها النبي ﷺ «ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله»^{(٣) (٤)} وقال أبو هريرة رضي الله عنه «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث، وذكر منها صيام ثلاثة أيام من كل شهر، والأولى أن تكون أيام البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر»^(٥)، لحديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا أبا ذر إذا صمت من الشهر ثلاثة فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة»^{(٦) (٧)} وعن النبي ﷺ أنه سئل عن صوم يوم عرفة فقال: «يكفر السنة الماضية والباقية»^{(٨) (٩)} وسئل عن صيام عاشوراء فقال: «يُكفِّر السنة الماضية»^(١٠)، وسئل عن صوم يوم الاثنين فقال: «ذاك يومٌ وُلِدْتُ فيه ويومٌ بُعِثْتُ فيه أو أنزِلَ علي فيه»^(١١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه «أن النبي ﷺ سئل: أي الصيام أفضل بعد شهر رمضان؟ قال: "أفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم»^{(١٢) (١)} وعن عائشة رضي الله عنها

(١) مسلم الصيام (١١٦٤)، الترمذي الصوم (٧٥٩)، أبو داود الصوم (٢٤٣٣)، ابن ماجه الصيام (١٧١٦)، أحمد (٤١٧/٥)، الدارمي الصوم (١٧٥٤).

(٢) رواه أحمد ومسلم.

(٣) مسلم الصيام (١١٦٢)، أبو داود الصوم (٢٤٢٥).

(٤) رواه أحمد ومسلم.

(٥) البخاري الجمعة (١١٢٤)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٢١)، الترمذي الصوم (٧٦٠)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٧٨)، أبو داود الصلاة (١٤٣٢)، أحمد (٥٠٥/٢)، الدارمي الصوم (١٧٤٥).

(٦) الترمذي الصوم (٧٦١)، النسائي الصيام (٢٤٢٤).

(٧) رواه أحمد والنسائي وابن حبان وصححه وله شواهد يتقوى بها.

(٨) مسلم الصيام (١١٦٢)، أبو داود الصوم (٢٤٢٥)، أحمد (٣٠٨/٥).

(٩) رواه مسلم.

(١٠) مسلم الصيام (١١٦٢)، أبو داود الصوم (٢٤٢٥)، أحمد (٣٠٨/٥).

(١١) مسلم الصيام (١١٦٢).

(١٢) مسلم الصيام (١١٦٣)، الترمذي الصلاة (٤٣٨)، أبو داود الصوم (٢٤٢٩)، ابن ماجه الصيام

قالت: «ما رأيت النبي ﷺ استكمل شهرا قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان، وفي لفظ: كان يصومه إلا قليلا»^{(٢) (٣)} وعنهما رضي الله عنهما قالت: «كان النبي ﷺ يتحرى صيام الاثنين والخميس»^{(٤) (٥)} وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تُعْرَضُ الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»^{(٦) (٧)}.

ولئن انقضى قيام شهر رمضان فإن القيام لا يزال مشروعا والله الحمد في كل ليلة من ليالي السنة ثابتا من فعل رسول الله ﷺ وقوله، فعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال: «إن كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلي حتى ترم قدماه، فيقال له فيقول: " أفلا أكون عبدا شكورا؟ »^{(٨) (٩)} وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»^{(١٠) (١١)} وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أفضل

(١٧٤٢)، أحمد (٣٢٩/٢)، الدارمي الصوم (١٧٥٧).

(١) رواه مسلم.

(٢) البخاري الصوم (١٨٦٨)، الترمذي الصوم (٧٣٦)، النسائي الصيام (٢١٧٩)، أبو داود الصوم (٢٤٣٤)،

ابن ماجه الصيام (١٧١٠)، أحمد (٢٤٢/٦)، مالك الصيام (٦٨٨)، الدارمي الصوم (١٧٣٩).

(٣) متفق عليه.

(٤) النسائي الصيام (٢٣٦٠)، ابن ماجه الصيام (١٧٣٩).

(٥) رواه الخمسة إلا أبا داود فهو له من حديث أسامة بن زيد.

(٦) الترمذي الصوم (٧٤٧)، ابن ماجه الصيام (١٧٤٠).

(٧) رواه الترمذي وهو ضعيف لكن له شاهد يعضده، وقد ثبت في صحيح مسلم أن الأعمال تعرض كل يوم

اثنين وخميس.

(٨) البخاري الجمعة (١٠٧٨)، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٩)، الترمذي الصلاة (٤١٢)، النسائي

قيام الليل وتطوع النهار (١٦٤٤)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤١٩)، أحمد (٢٥٥/٤).

(٩) رواه البخاري.

(١٠) الترمذي صفة القيامة والرفائق والورع (٢٤٨٥)، ابن ماجه الأطعمة (٣٢٥١)، الدارمي الصلاة (١٤٦٠).

(١١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه الإمام أحمد أيضا وله شواهد يرتقي بها إلى الصحة.

«الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»^(١) ^(٢) وصلاة الليل تشمل التطوع كله والوتر فيصلني مثنى مثنى، فإذا خشى الصبح صلى واحدة فأوترت ما صلى، وإن شاء صلى على صفة ما سبق في المجلس الرابع.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»^(٣) ^(٤) والرواتب التابعة للفرائض اثنتا عشرة ركعة، أربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل صلاة الفجر، فعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة»، وفي لفظ: «من صلى ثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بُني له بهن بيتٌ في الجنة»^(٥) ^(٦).

والذكر أذكار الصلوات الخمس أمر الله به في كتابه وحث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، «وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم استغفر ثلاثاً وقال: "اللَّهُمَّ أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم " من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعة وتسعون، ثم قال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله

(١) مسلم الصيام (١١٦٣)، الترمذي الصلاة (٤٣٨)، أبو داود الصوم (٢٤٢٩)، أحمد (٣٤٤/٢).

(٢) رواه مسلم.

(٣) البخاري التوحيد (٧٠٥٦)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨)، الترمذي الدعوات (٣٤٩٨)، أبو داود

الصلاة (١٣١٥)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٦٦)، أحمد (٢٦٥/٢)، مالك النداء للصلاة

(٤٩٦)، الدارمي الصلاة (١٤٧٩).

(٤) متفق عليه.

(٥) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٢٨)، الترمذي الصلاة (٤١٥)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار

(١٧٩٧)، أبو داود الصلاة (١٢٥٠)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١١٤١)، أحمد (٣٢٧/٦).

(٦) رواه مسلم.

الحمد وهو على كل شيء قدير غُفِرَتْ خطاياهم وإن كانت مثل زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١) ^(٢).

فاجتهدوا إخواني في فعل الطاعات، واجتنبوا الخطايا والسيئات لتفوزوا بالحياة الطيبة في الدنيا، والأجر الكبير بعد الممات، قال الله ﷻ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

اللهم تبتنا على الإيمان والعمل الصالح، وأحينا حياة طيبة، وألحقنا بالصالحين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وإلى هنا انتهى ما أردنا كتابته في هذا، نسأل الله أن يجعل عملنا خالصا لوجهه ومقربا إليه ونافعا لعباده، وأن يتولانا في الدنيا والآخرة، ويهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وكان الفراغ منه يوم الجمعة الموافق ٢٩ محرم من عام ست وتسعين وثلاثمائة وألف على يد مؤلفه الفقير إلى مولاه محمد بن صالح بن عثيمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٩٧)، أحمد (٣٧١/٢)، مالك النداء للصلاة (٤٨٨).

(٢) رواه مسلم.